جامعة الأزهر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد

الخذلان مفهومه وصوره وآثاره في الدعوة إلى اللّه

إعداد

د. فهد عامر العجمي

الأستاذ المشارك بكلية التربية الأساسية
قسم الدراسات الإسلامية بالهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب
بدولة الكويت

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الثالث والأربعون، لعام ١٤٤٦هـ-
ديسمبر ٢٠٢٤م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٤/٦١٥٧ والترقيم الدولي
الطباعي ٢٩٧٤-٤٦٦٠ I.S.S.N و ٢٩٧٤-٤٦٧٩ The Online ISSN

الخذلان مفهومه وصوره وآثاره في الدعوة إلى الله

فهد عامر العجمي
قسم الدراسات الإسلامية – كلية التربية الأساسية – الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب – الكويت .
البريد الإلكتروني :- Fahd Amer @gmail.com

ملخص البحث :ـ

إنَّ من أشدِّ الأمراضِ المجتمعيَّةِ فتكًا بمواطنِ العزِّ والشرفِ مرضَ "الخذلان"؛ وما يرادفه من معاني السلبيةِ والانهزاميةِ والخنوعِ، واليأسِ والإحباطِ؛ فلا شكَّ أنَّ هذه المعاني تضربُ المجتمعَ في صميمِ قوتِه، ومكامنِ وحدتِه، وقد اخترت هذا البحث المعنون بـ "الخذلان مفهومه وصوره وآثاره في الدعوة إلى الله" ليكون موضوعًا لهذه الدراسة. وجاء البحث في مقدمة وأربعة مباحث تحتها مطالب، وخاتمة. المبحث الأول: مفهوم الخذلان والألفاظ ذات الصلة ، المبحث الثاني: الخذلان في مجال الدعوة في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، المبحث الثالث: أسباب الخذلان وصوره ، المبحث الرابع: آثار الخذلان على الفرد والمجتمع والدعوة الإسلامية، وكيفية مواجهتها ، الخاتمة: وتتضمن أبرز نتائج الدراسة ومنها :- الخذلان داءٌ يصيب الأمم والمجتمعات كما يصيب الأفراد ، حذَّرت الشريعة الغراء من خذلان المسلم لأخيه، خصوصًا في مواطن القدرة على نصرته ، للخذلان صور كثيرة لعلَّ أبرزها خذلان المظلومين، والمعتدى على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم بغير حقٍّ ، على الدعاة إلى الله تعالى واجبٌ ثقيل في إيقاظ المجتمع من غفلته عن نصرة إخوانه.

الكلمات الافتتاحية: – الخذلان – مفهومه – صوره – آثاره – الدعوة .

Betrayal its concept, images and effects In the incident to God

Fahd Amer Al-Ajmi
Department of Islamic Studies - College of Basic Education - Public Authority for Applied Education and Training – Kuwait
Email :- Fahd Amer @gmail.com

Abstract:

One of the most fatal societal diseases to places of pride and honor is the disease of "disappointment." And the meanings of negativity, defeatism, submission, despair and frustration that are synonymous with it. There is no doubt that these meanings strike society at the core of its strength and the sources of its unity. I chose this research entitled:

" Betrayal , its concept, images, and effects in the call to God" will be the subject of this study. The research consisted of an introduction, four sections under which there were demands, and a conclusion. The first topic: The concept of betrayal and related terms. The second topic: abandonment in the field of advocacy in the Holy Qur'an and the purified Sunnah. The third section: Causes of betrayal and its forms. The fourth section: The impact of betrayal on the individual, society, and the Islamic call, and how to confront it. Conclusion: Notable achievements in the study, including: - Affliction is a disease after the United Nations and societies as well as the affected individuals. Sharia law warns against a Muslim being intimate with his brother. Letting down has many forms, perhaps the most prominent of which is letting down the oppressed, and those who attack themselves, their honor, and their property unjustly. Callers to God Almighty have a heavy duty to awaken society from its neglect of supporting its brothers.

Key words: - Betrayal - its concept - its form - its effects - the call.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمدَ للهِ، نحمدُه، ونستعينُه، ونستهديه، ونسترضيه، ونستلهمُه سبحانه الرُّشدَ والصوابَ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يهدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ، وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُاللهِ ورسولُه صلى اللهُ عليه وعلى آلهِ وصحبِه وسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا،

ثم أما بعد:

فإنَّ الدعوةَ إلى اللهِ تعالى من أشرفِ المقاماتِ، مصداقًا لقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [**فصلت**: ٣٣]، ولابدَّ في الدعوةِ إلى اللهِ من تلمُّس أمراضِ الأمةِ التي تقعدُ بها عن الرِّفعةِ والشَّرفِ، والعزَّةِ والكرامةِ، فالمسلمُ عزيزٌ بدينِه، شامخٌ بإيمانه؛ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [**المنافقون**: ٨]، ويقول عزَّ وجلَّ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [**فاطر**: ١٠].

وإنَّ من أشدِّ الأمراضِ المجتمعيَّةِ فتكًا بمواطنِ العزِّ والشرفِ مرضَ "**الخذلان**"؛ وما يرادفه من معاني السلبيةِ والانهزاميةِ والخنوعِ، واليأسِ والإحباطِ؛ فلا شكَّ أنَّ هذه المعاني تضربُ المجتمعَ في صميمِ قوتِه، ومكامنِ وحدتِه.

فحريٌّ بمرضٍ هذا أثرُه، وتلك خطورتُه أن يلتفتَ إليه أبناءُ الأمةِ من الدُّعاةِ والمصلحين، ببيان شرِّه، واستكناه أسبابِه، وتبيينِ صورِه، والتحذيرِ من آثارِه، والنظرِ في علاجاتِه.

وقد اخترت هذا البحث المعنون بـ "**الخذلان مفهومه وصوره وآثاره في الدعوة إلى الله**" ليكون موضوعًا لهذه الدراسة.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

١- ما مفهوم الخذلان، وما العلاقة بينه وبين ما يقاربه من المصطلحات؟
٢- كيف تناول القرآن الكريم "الخذلان"، وكيف تناولته السنُّة المطهرة، لا سيما في الجانب الدعوي؟
٣- ما الأسباب الشرعية والنفسية الداعية إلى الخذلان؟
٤- هل للخذلان صورة ثابتة يمكن معايرته بها أم له صورٌ تختلف من ظرفٍ لآخر؟
٥- ما الآثار السيئة التي تنتج عن "الخذلان" فتصيب الفرد والمجتمع والدعوة؟
٦- كيف يمكن للدعاة إلى الله تعالى الإسهام في علاج أمتهم من داء "الخذلان"، وما سبيلهم إلى ذلك؟

أهداف البحث:

١- تحرير معنى الخذلان لغة واصطلاحًا، وإظهار الصلة بينه وبين الألفاظ المتقاربة له.
٢- الكشف عن معاني الخذلان وصوره وأسبابه من خلال القرآن والسنة.
٣- إبراز الأسباب الداعية إلى الوقوع في الخذلان سواءً منها العقدية أو النفسية.
٤- عرض صور الخذلان التي يقع فيها الفرد والمجتمع على حدٍّ سواء.
٥- بيان الآثار السيئة التي تفتك بالفرد والمجتمع والدعوة الإسلامية جرَّاء الخذلان.
٦- توجيه الدعاة والمصلحين نحو معالجة أسباب الخذلان، ورفع آثاره، ووقاية الأمة من خطره.

أهمية البحث:

تكمن أهمية بحث الموضوع في تعلقه بالواقع العملي للأمة، وخطورة الظروف المحدقة بها، والأثر الكبير لمثل هذا المرض "الخذلان" على القعود بالمجتمعات عن طلب معالي الأمور، ورفع الظلم، ودفع المعتدي، والتباس مخطَّطات العدوِّ على كثير من المسلمين، من إرادة زعزعة ثقتهم بأنفسهم، وبدينهم، وإخوانهم، وأخلاقهم، وأن يكونوا

لقمةً سائغةً لأعدائهم، بعد أن فرَّقهم هذا العدوُّ شِيَعًا وأحزابًا، ونزع كلَّ معاني الولاء منهم، والوحدة بينهم.

الدراسات السابقة:

١- الخذلان حقيقته وآثاره، عبد الله بن إبراهيم حلوي: وقد تناول المؤلف الموضوع من زاوية خطابية، ولم يتناول فيه جانبًا أصيلًا في بحثي لهذه الموضوع وهو الجانب العلمي الدعوي.

٢- أسباب النصر والخذلان في دعوة أولي العزم من الرسل وأثرها: آدم دفع الله سبيل: وهو بعيد الصلة عن موضوعنا، كونه استقراءً لدعوة الأنبياء من أولي العزم.

٣- التوفيق والخذلان في أفعال الله عزَّ وجلَّ دراسة عقدية: إبراهيم الجربوع: وهو بعيد الصلة عن موضوعنا حيث يتناول الموضوع من زاوية عقدية متعلقة بأفعال الله وانقسام المذاهب حولها.

خطة البحث:

جاء البحث في مقدمة وأربعة مباحث تحتها مطالب، وخاتمة، كما يلي:

مقدمة: وتتضمن مشكلة البحث، وأهدافه، وأهميته، والدراسات السابقة، وخطته، ومنهجه.

المبحث الأول: مفهوم الخذلان والألفاظ ذات الصلة، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الخذلان في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: الألفاظ ذات الصلة بمفهوم الخذلان.

المبحث الثاني: الخذلان في مجال الدعوة في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: الخذلان في مجال الدعوة في القرآن الكريم

المطلب الثاني: الخذلان في مجال الدعوة في السنة المطهرة

المبحث الثالث: أسباب الخذلان وصوره، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: أسباب الخذلان.

المطلب الثاني: صور الخذلان.

المبحث الرابع: آثار الخذلان على الفرد والمجتمع والدعوة الإسلامية، وكيفية مواجهتها، وتحته ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: آثار الخذلان على الفرد والمجتمع.

المطلب الثاني: آثار الخذلان على الدعوة الإسلامية.

المطلب الثالث: واجب الدعاة في مواجهة الخذلان.

الخاتمة: وتتضمن أبرز نتائج الدراسة.

منهج البحث:

سلكتُ في بحثِ هذا الموضوعِ الآتي:

١- تَّتَبعِ واستقراءِ آياتِ القرآنِ الكريمِ وأحاديثِ النبي ﷺ التي تعرضت لموضوعِ "الخذلان".

٢- استنباط الدلالاتِ والهداياتِ المتعلقة بموضوع "الخذلان" من القرآن الكريم والسنة.

٣- الاعتماد على ما ثبتَ من سيرةِ النبيِّ ﷺ والسلفِ الصالحِ مما له تعلقٌ بالموضوعِ، وما كتبه العلماء المحققون.

٤- العودة إلى المصادرِ الأصيلةِ ما استطعتُ.

٥- عزو الآيات القرآنية بذكر السورة ورقم الآية، وتخريج الأحاديث النبوية من مظانها بصورةٍ موجزةٍ.

هذا، واللهَ أسألُ التوفيقَ والإعانةَ، والإخلاصَ في القولِ والعملِ، والعصمةَ من الزللِ، إنه جوادٌ كريمٌ.

المبحث الأول: مفهوم الخذلان والألفاظ ذات الصلة

المطلب الأول: مفهوم الخذلان في اللغة والاصطلاح

- مفهوم الخذلان في اللغة:

الخاء والذال واللام: أصل واحد يدُلُّ على تَركِ الشَّيءِ، والقُعودِ عنه(١).

والخاذل: ضِدُّ النَّاصرِ، خَذَلَهُ وخَذَلَ عنه يخْذُلُه خَذْلاً وخِذْلانًا: ترك نصرته وعونه.

والخذلان: ترك المعونة، وخَذَّله: حمله على الفشل وترْك القتال، وتخذل القوم: خذَّلَ بعضُهم بعضًا، وتخاذلت رجلاه: ضعُفَتا، يقال: خذلت الوحشيّة (ولدها) فهي خذول أي قعدت وتركته، وخَذَلَت الظَّبيةُ والبقرةُ وغيرُهما مِنَ الدَّوَابِّ، وَهِيَ خَاذِل وخَذُول: تَخَلَّفَت عَنْ صَوَاحِبِهَا وَانْفَرَدَتْ، وَقِيلَ: تَخَلَّفت فَلَمْ تَلْحَق(٢).

والتخذيل: حملُ الرجل على خِذلان صاحبه وتثبيطه عن نصرته. ورجلٌ خُذَلةٌ: لا يزال يَخذُل(٣).

- مفهوم الخذلان في الاصطلاح:

قال الطبري في معنى قوله: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾ [الفرقان: ٢٩]

يقول: مُسْلِمًا (إيَّاه) لما ينزل به من البلاء غير منقذه ولا منجيه(٤).

وقال الثَّعلبيُّ وغَيرُه في تعريفِ الخِذْلانِ: القُعودُ عن النُّصرةِ، والإسلامُ للهَلَكةِ والمَكروهِ(٥).

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٢/ ١٦٥)، .

(٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (خ ذ ل) (٢٠٢/١١).

(٣) ينظر: لسان العرب، ابن منظور (٢٠٢/١١)، الصحاح، الجوهري (٤/ ١٦٨٣)، تاج العروس، الزَّبيدي (٢٨/ ٤٠١) مادة (خ ذ ل).

(٤) جامع البيان (١٩/ ٢٦٣).

(٥) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي (٩/ ٨٨)، التفسير البسيط، الواحدي (٦/ ١٢٥)، معالم التنزيل، البغوي (٢/ ١٢٥).

وقال أبو المُظَفَّرِ السَّمْعانيُّ في تعريفِ الخِذْلانِ: الامتِناعُ عن النُّصرةِ والإعانةِ عِندَ الحاجةِ(١).

وقال الرَّاغِبُ: الخِذْلانُ: تَركُ من يُظَنُّ به أن يَنصُرَ نُصرتَه(٢).

وقيل: هو تَركُ المأمولِ منه ما أُمِلَ منه.

ويمكِنُ استِخلاصُ تعريفٍ للخذلانِ ممَّا سبَق بأنَّه:

امتِناعُ النَّاسِ عن إعانةِ بَعضِهم بعضًا، وقعودُ بَعضِهم عن نُصرةِ بَعضٍ، وإسلامُ بعضِهم بعضًا للهَلَكةِ والمَكروهِ، مع القُدرةِ على الإعانةِ والنُّصرةِ، إذا كان كلٌّ منهما يُظَنُّ به نصرةُ صاحبِهِ وإغاثتُهُ(٣).

هذا من جهة خذلان العبد لأخيه.

وهناك نوعٌ آخر من الخذلان، **وهو خذلان الله للعبد:**

أي عدم عصمته من الوقوع في الذنوب والآثام والشبهات؛ فيقع فيها، فهو التخلية بين العبد وبين المعصية(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إذَا أُلْهِمَ الْعَبْدُ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ الْهِدَايَةَ وَيَسْتَعِينَهُ عَلَى طَاعَتِهِ، أَعَانَهُ وَهَدَاهُ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ سَعَادَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِذَا خُذِلَ الْعَبْدُ فَلَمْ يَعْبُدْ اللَّهَ؛ وَلَمْ يَسْتَعِنْ بِهِ، وَلَمْ يَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ، وُكِلَ إلَى حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ. فَيُوَلِّيهِ الشَّيْطَانَ، وَصُدَّ عَنْ السَّبِيلِ، وَشَقِيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"(٥).

وواضح من معنى الخذلان والتخذيل في اللغة والاصطلاح أنه يدور حول ترك العون والتثبيط عن النُّصْرة، ولا يخفى ما في ترك العون من الأثر الحسي والمعنوي السلبي على الدعاة والمدعوين والدعوة بوجهٍ عام.

---

(١) تفسير القرآن (١/ ٣٧٣).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٧٧).

(٣) هذا التعريف مستخلصٌ من جملة أقوال المفسرين واللغويين.

(٤) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي (ص١٥٣).

(٥) مجموع الفتاوى (٨/ ٢٣٦).

المطلب الثاني: الألفاظ ذات الصلة بمفهوم الخذلان [الإرجاف – التثبيط - التخلُّف]

من المصطلحات ذات الصلة بمصطلح الخذلان:

أولا: (الإرجاف):

- **الإرجاف لغة:** قال ابن فارس: "الراء والجيم والفاء: أصلٌ يدُلُّ على اضْطِرَابٍ، يقالُ: رَجَفَتِ الأرضُ والقَلْبُ. والْبَحْرُ رَجَّافٌ لِاضْطِرَابِهِ، وَأَرْجَفَ النَّاسُ في الشَّيْءِ، إذا خَاضُوا فيه وَاضْطَرَبُوا"(١).والمرجفون: "المولِّدون للأقوالِ المضطربةِ التي لا قرارَ لها، ولا حقيقةَ"(٢).

- **الإرجاف اصطلاحًا:** "إشاعة الكذب والباطل؛ للاغتمام به"(٣)، وقال ابن عاشور: "المرجفون قومٌ يتلقون الأخبارَ فيحدثون بها في مجالسَ ونوادٍ ويخبرونَ بها من يسألُ ومن لا يسألُ...ويتحدثون عن سرايا المسلمين فيقولون: هزموا أو أسرع فيهم القتل أو نحو ذلك لإيقاع الشك في نفوس الناس والخوف وسوء ظن بعضهم ببعض"(٤).

- وقال السعدي: "المرجفون: المخوِّفون المرهِّبون الأعداء، المحدِّثون بكثرتهم وقوتهم، وضعف المسلمين"(٥)؛ فإذا كان في التخذيل منع الناس من النهوض للقتال، والإرجاف: فيه نشر الاضطراب بين المسلمين؛ فالإرجاف أعم من التخذيل(٦).

وحكم الإرجاف: حرام، وتركه واجب؛ لما فيه من الإضرار بالمسلمين، وفاعله يستحق التعزير(٧).

---

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٤٩١).
(٢) درج الدرر في تفسير الآي والسور، عبدالقاهر الجرجاني (٢/ ٤٧٤).
(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٤/ ٢٤٦).
(٤) التحرير والتنوير (٢٢/ ١٠٨) باختصار يسير.
(٥) تيسير الكريم الرحمن (ص٦٧٢).
(٦) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (٣/ ٨٠).
(٧) ينظر: أحكام القرآن، الجصاص (٣ /٤٥٨).

ثانيًا: (التثبيط):

- **التثبيط لغةً:**

ثَبَّطَهُ عن الأمر: رَيَّثَهُ فَتَثَبَّطَ، وفَرَسٌ ثَبِطٌ: وهو الثَّقِيْلُ النَّزْوِ، وجَمْعُه ثِبَاطٌ وأَثْبَاطٌ. وهو من الرِّجَالِ: الأحْمَقُ في عَمَلِه الضَّعِيْفُ، وامرأَةٌ ثَبِطةٌ: أَي ثقِيلة بَطِيئةً مِنَ التَّثْبِيطِ، وَهُوَ التعْوِيقُ والشَّغْلُ عن المُراد، واثْبَاطَطْتُ عن الأمْرِ: اسْتَأْخَرْتُ تارِكاً له[1].

- **التثبيط اصطلاحًا:**

وردت لفظة التثبيط في كتاب الله تعالى مرةً واحدةً، وأسند فيها الفعل إلى الله تعالى؛ حيث قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦].

- **فالتثبيط:** هو تخذيل المؤمنين وتعويقهم، والتواني عن مظاهرتهم ونصرتهم، وبث روح الانهزامية فيهم، وإلقاء ما تضعف به قلوبهم عن مواجهة عدوهم، وإشاعة الفتنة بينهم[2].

والإرجاف هو إحدى وسائل التثبيط والتخذيل[3].

ثالثا: التخلف (القعود):

- **التخلُّف لغةً:** مصدر من مادة (خ ل ف) الدالة على الخْلف الذي هو خلاف قُدَّام، أي التأخُّر، يقال: خَلَّفْتُ فلانًا ورائي، فتَخَلَّفَ عنِّي، أي تأخَّرَ[4]

- **التخلُّف اصطلاحًا:**

يمكن تعريفه من خلال معانيه اللغوية: بأن تقاعس المسلم ويتأخّر عن استفراغ وسعه في مدافعة العدوِّ من الكفَّار والمشركين[5].

---

(١) ينظر هذه المعاني: الصحاح، الجوهري (٣/ ١١١٧)، المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٩/ ١٤٤)، أساس البلاغة، الزمخشري (١/ ١٠٤)، لسان العرب، ابن منظور (٧/ ٢٦٧)، مادة (ث ب ط).

(٢) ينظر: روح المعاني، الألوسي (٣/ ١٦٨).

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية (١٠/ ١٩٦).

(٤) ينظر: الصحاح، الجوهري (٤/ ١٣٥٨).

(٥) ينظر: موسوعة نضرة النعيم، عدد من المختصين (٩/١٤٤٦).

المبحث الثاني: الخذلان في مجال الدعوة في القرآن الكريم والسنة المطهرة

المطلب الأول: الخذلان في مجال الدعوة في القرآن الكريم

إن المخذلين في كل زمان ومكان يستهدفون من تخذيلهم الدعوةَ إلى الله؛ فيجابهونها بكل الوسائل والأساليب؛ لئلا تنتشر، إذ لا يتركون شاردة ولا واردة إلا اتخذوا منها وسيلة لتخذيل الدعاة من جانب وتخذيل المدعوين من جانب آخر؛ لعلمهم أن في انتشار الدعوة إلى الله زوالا لسلطانهم، وذهابًا لشوكتهم، وتهديدًا لمصالحهم وأطماعهم.

وهذا الخذلان والتخذيل يتخذ أساليب عدة ووسائل متنوعة، تتمثل في أمور، منها:

أولًا: أسلوب الاستهزاء والتهكم:

فالمخذِّل يتخذ من الاستهزاء والسخرية بالداعية وسيلة لتخذيله عن دعوته، وصد الناس عنه، والتنقُّص من شأنه، وهذه سنة ماضية بين المخذلين والدعاة.

قال سبحانه: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [**الأنعام**: ١٠].

وقد صوَّر القرآن الكريم مشاهد الاستهزاء والسخرية والتهكم بالداعية إلى الله تعالى؛ ومن ذلك:

- قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [**الفرقان**: ٤١-٤٢].

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإذا رآك هؤلاء المشركون الذين قصصتُ عليك قصصَهم (إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إلا هُزُوًا) يقول: ما يتخذونك إلا سخريةً يسخرون منك، يقولون: (أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ) إلينا (رَسُولا) من بين خلقه"(١).

(١) جامع البيان (١٩/ ٢٧٣).

وهذه المقولة منهم لم تكن عن قناعة واعتقاد، ولكن العناد والمكابرة وشدة التكذيب، والصد عن سبيل الله، وتخذيل الداعي والمدعوين عن قبول دعوته = هي التي دفعتهم لهذه الفرى العظيمة، والاستهزاء والسخرية بالنبي ﷺ.

– ومن صور الاستهزاء والتهكم بالمدعوين ما حكاه القرآن الكريم في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ۝٣١ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ [المطففين: ٢٩-٣٢].

– ومنه استهزاؤهم بالمسلمين عند حفرهم الخندق؛ حيث بشَّر النبيُّ ﷺ أصحابَهُ بأنَّ اللهَ سيفتحُ عليهم بلادَ الشامِ وفارسَ واليمنَ؛ فلما قدمت جموعُ الأحزابِ المدينةَ، قالوا كما قال اللهُ عنهم: ﴿وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا﴾ [الأحزاب: ١٢].

– وكذلك استهزاؤهم حين رأوا المؤمنين يتسابقون في غزوةِ تبوك للإنفاقِ في سبيلِ اللهِ – وقد أحجموا هم عن النفقة – لكنهم أطلقوا ألسنتَهم سخريةً واستهزاءً؛ فمن رأوه أنفقَ كثيرًا اتهموه بالرياء، ومن أنفق قليلًا – وهو غاية ما يستطيع – قالوا: إنَّ اللهَ غنيٌّ عن صدقةِ هذا؛ فأنزل اللهُ فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [التوبة: ٧٩].

ثانيًا: أسلوب التيئيس:

والمقصود به تقنيط الداعي وقطع رجائه من أثر دعوته، ونفي طمعه في إيمان المدعوين وتصديقهم له، والهدف منه التخذيل والإنهزامية، وإضعاف الهمة والعزيمة.

وقد بيَّن القرآن الكريم صورًا من هذا الأسلوب لدى المكذبين المخذِّلين في أكثر من موضع، ومن ذلك:

– قول الله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۖ﴾ [الأنعام: ٢٥].

- وقوله عز وجلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١].
- وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦-٩٧].

فالمخذِّل مهما رأى من الآيات والدلائل القائمة على صدق الداعية لا يؤمن عنادًا واستكبارًا، وطمعًا أن يعود الداعي عن دعوته، وأن ييأس من آثارها.

- التيئيس من النصر على العدو:

والتخويف والترهيب من قوتهم التي لا يطيقها المسلمون، ومثال ذلك قولهم للمسلمين حين أراد رسول الله ﷺ قتال الروم في تبوك: "أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضًا! والله لكأنا بكم غدًا مقرنين في الحبال"، إرجافا وترهيبًا للمؤمنين(١)؛ فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥](٢).

ثالثًا: أسلوب الإرجاف ونشر الشائعات، وبث الدعاية الكاذبة:

وهذا أيضًا مما درج عليه المخذِّلون في كل العصور؛ أن يبثوا الشائعات والأراجيف التي توهن من عزيمة الدعاة إلى الله تعالى، وتوقع الفرقة في الصفوف، وتعمل على تنافر القلوب، وتنال من أعراض المصلحين والدعاة ومن عفتهم، باختلاق الفرى والأكاذيب، ورميهم بما يشين عقولهم، من السحر، والكهانة، والكذب، أو اتهامهم بأكل أموال الناس بالباطل إلى غير ذلك التهم الشنيعة.

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٧/ ٢٢٧).
(٢) ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام (٢/٥٢٥).

وقد أمر القرآنُ الكريم بالتحري في كل ما يقال أو يُسمع؛ فقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [**الحجرات**: ٦].

أي: تمهلوا حتى تعرفوا صحته، ولا تعجلوا بقبوله(١).

ومما صوَّره لنا القرآن من استعمال المخذلين لهذا الأسلوب تجاه الدعاة، الآتي:

- قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٞ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ﴾ [**النساء**: ٨٣].
- وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرٗاۚ﴾ [**آل عمران**: ١٨٦].
- وقوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٞ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٞ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْأٓخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَاقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَاۚ﴾ [ص: ٤-٨].
- وقول الله سبحانه: ﴿نٓۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ [**القلم**: ١-٦].

فهذه صورٌ من الاتهامات والأراجيف التي أشاعها المكذِّبون والمخذِّلون ضد الدعاة – وعلى رأسهم إمامهم نبينا محمدٍ ﷺ – والتي لا زال لها أثر السحر في ضعاف النفوس والعقول، الذين لا يتريثون عند سماع الأخبار، ولا يعطونها حظَّها من التدقيق والتمحيص وسؤال أهل العلم، بل يسارعون إلى التصديق، ويُذعنون لما يرجونه ناشرو البهتان والزور من نشر الخذلان والإرجاف والانهزامية.

---

(١) ينظر: جامع البيان، الطبري (٢٨٦/٢٢).

رابعًا: أسلوب التخويف والترهيب من تبعات الإيمان:

إن المخذِّلين يتخذون من التخويف وسيلة لإرهاب الدعاة والمدعوين على حدٍّ سواء، ولا يزالون بهم يحذرون عاقبة قبول دعوة الداعي، ويذكرونهم ما تجره عليهم من ويلات وأزمات –بزعمهم – وقد ذكر القرآن الكريم صورًا من هذا الأسلوب، ومن ذلك:

- حكاية الله عزَّ وجلَّ قول فرعون عن موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [**الشعراء**: ٣٤-٣٥].
- قول فرعون للسحرة لما آمنوا بموسى وهارون عليهما السلام: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [**الأعراف**: ١٢٤].
- وقوله تعالى عن نبينا ﷺ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [**الأنفال**: ٣٠].
- وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ [**إبراهيم**: ١٣].

قال القرطبي: "خَيَّرَ الكفارُ الرسلَ بين أن يعودوا في ملتهم أو يُخرجوهم من أرضهم، وهذه سيرةُ اللهِ تعالى في رسلِه وعبادِه"(١).

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٤٨/٩).

المطلب الثاني: الخذلان في مجال الدعوة في السنة المطهرة

عنيت السنة النبوية ببيان الخذلان في مجال الدعوة من حيث صوره وأسبابه وآثاره ووسائل مجابهته؛ والمستعرض للأحاديث النبوية في هذ السياق يجد تقبيح هذا الفعل والتنفير منه ومن أثره على المجتمع، وها نحن نذكر طرفًا من ذلك على التفصيل الآتي:

أولًا: التحذير من الخذلان:

إن سلامةَ المجتمعِ وتماسكَه واصطفافَه خلف الجهد الدعوي من أهم عوامل نجاح الدعوة وتعظيم آثارها؛ وتكثير نفعها وخيرها، والخذلان يضرب هذه المعاني في صميمها، ولا يسمح إلا بالتفرق والتشرذم، وبث الظنون السيئة بين الناس، لذا جاء التحذير النبوي الكريم من الخذلان؛ ففي الحديث الشريف: "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ؛ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ"(١).

فالمسلمُ إذا استعان به مسلمٌ في أمرٍ تُمكِنُه معونتهُ، أو طلب منه نصرةً على ظالمه؛ فعليه أن ينصره ويعينه(٢)، وإذا كان معه في حربٍ ودهمهم القتالُ فغير جائزٍ للمسلم أنْ يفرَّ ويُسْلِمَ أخاه؛ فليصبر معه ليَسْلَما جميعًا، أو يواسي أخاه فيما يكون منه(٣).

قال ابن حجر: "(ولا يُسْلِمُه) أي لا يتركه مع من يؤذيه ولا فيما يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه، وهذا أخصُّ من تركِ الظلم"(٤).

فالخذلان بين المسلمين محرَّمٌ في الشريعة، بل الأمة كلُّها ينبغي أن تكونَ ذاتَ حميَّةٍ على الدين والأعراض والأموال، وردِّ العادين على حقوقها، المنتهكين لرسالتها ودورها.

وإذا كان هذا الأمر مؤكدٌ في حقِّ الأمة من حيث مجموعها فهو في حقِّ الدعاة آكد وألزم؛ فينبغي على الدعاة أن يكونوا في مقدمة الأمة في هذا الجانب؛ فلا يُخذل أمامهم

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١٠/٨)، (٢٥٦٤) (كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره).

(٢) التحرير في شرح صحيح مسلم، الأصبهاني (ص:٥٨٥).

(٣) ينظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة (٤/ ٣٥).

(٤) فتح الباري (٥/ ٩٧).

مظلومٌ، أو يُعْتَدى على عرضِه أو ماله أو أرضه؛ وليكونوا قدوةً في دفعِ الظلمِ، ورفعِ الجَوْرِ، والإعلانِ في وجه الباغين المعتدين بالحقِّ بالحكمة والموعظة الحسنة، دون تعسُّف أو غوغائية.

فالنصرةُ – لا سيما نصرة الدعاة إلى الله – حقٌّ أساسيٌّ تقتضيه أخوة الإسلام ووحدة الهدف والمصير.

ثانيًا: الحذر من الخذلان الدعوي (النُّصْرة بالأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر):

فمن الخذلان ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهما عماد الأمة وأساس خيريتها بعد الإيمان بالله تعالى، قال عزَّ وجلَّ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

والمعروف: اسمٌ جامعٌ لكل ما عُرِفَ من طاعةِ اللهِ والتقربِ إليه والإحسانِ إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات...والمنكر: ضدُّ ذلك جميعه(١).

قال القاضي عياض: "هذا البابُ بابٌ عظيمٌ في الدين، به قوام الأمر وملاكه، فإذا فسد عمَّ العقابُ الصالحَ والظالمَ"(٢).

ففي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنقيةٌ للمجتمع من الأدران، وإبعادٌ له عن مخالفة ما شرعه الله، وحمايةٌ للمجتمع من عبث العابثين، ومن تهجم المتهجمين، وتوجيهٌ لأفراده وجماعاته إلى عمل الخير، وفعل المأمور به، وترك المنهي عنه، والالتزام بحدود الله جل شأنه وبشريعته.

(١) ينظر: شرح المشكاة، الطيبي (١٠/ ٣٢٥٩).
(٢) مرقاة المفاتيح، الملا على القاري (٣٢٠٩/٨).

والنبي الكريم ﷺ يقول: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ"(١).

قال النووي: "(فليغيره): فهو أمرُ إيجابٍ بإجماعِ الأمةِ، وقد تطابق على وجوبِ الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر الكتابُ والسنةُ وإجماعُ الأمة، وهو أيضًا من النصيحةِ التي هي الدين"(٢).

"ولا يختص ذلك بأصحاب الولايات، بل هو ثابتٌ على آحاد المسلمين؛ فإن السلفَ الصالح كانوا يأمرون الولاةَ بالمعروف، وينهونهم عن المنكر، مع توقير المسلمين إياهم، وترك توبيخهم على التشاغل به"(٣).

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: "ما من نبيٍّ بعثهُ اللَّهُ في أمةٍ قبلي إلا كان له من أمتهِ حواريون وأصحابٌ يأخذون بسنتِهِ ويقتدون بأمرِهِ، ثم إنها تَخْلُفُ من بعدهم خُلُوفٌ(٤)؛ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيدِه فهو مؤمنٌ، ومن جاهدَهم بلسانهِ فهو مؤمنٌ، ومن جاهدهم بقلبِهِ فهو مؤمنٌ، وليس وراء ذلك من الإيمانِ حبةُ خردلٍ"(٥).

ثالثًا: الوعيد على الخذلان في تحقيق الأخوة الإيمانية:

إن الدعوة إلى الله تعالى لا تؤتي ثمارها على الوجه الأكمل إلا في ظل الأخوة

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١/٥٠) برقم: (٤٩) (كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عَنْ المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/ ٢٢).

(٣) شرح المشكاة للطيبي "الكاشف عن حقائق السنن" (١٠/ ٣٢٦٠).

(٤) الخُلُوف: بضم الخاء المعجمة جمع خُلْفٌ: بإسكان اللام، وهو الخالف بشر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

(٥) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٥٠) برقم: (٥٠) (كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عَنْ المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص).

الإيمانية، ونصرة المؤمنين بعضهم لبعضٍ؛ من خلال: النصيحة، والوفاء، والمحبة، والتعاون، والإنصاف، ورفع الظلم، ونشر العدل.

ويقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [**الحجرات**: ١٠].

ولا أدلَّ على تحقيق أهداف الدعوة الإسلامية في المدينة المنورة إلا في ظلِّ تحقيقِ معاني الأخوَّةِ الإيمانية = من "**المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار**"؛ إذ كانت أقوى في حقيقتها من أخوة الرحم، وكان الأنصار على مستوى هذه المسئولية؛ فواسوا إخوانهم المهاجرين، وآثروهم على أنفسهم بخير ما عندهم من متاع الدنيا.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: "قالت الأنصار للنبي ﷺ: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: لا، فقالوا: تكفوننا المؤونة، ونشرككم في الثمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا"(١).

وقد ترتب على هذه المؤاخاة حقوق بين المتآخين؛ شملت النصرة والتعاون ورفع الظلم، والمحبة.

وفي الحديث عن معاوية بن حيدة رضي الله عنه: أنه قال للنبي ﷺ: إني حلفت هكذا – ونشر أصابع يديه – حتى تخبرني ما الذي بعثك الله به. قال: "بعثني الله بالإسلام "قال: وما الإسلام؟ قال: "شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وكلُّ مسلمٍ على مسلمٍ محرَّمٌ، أخوان نصيران..."(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ١٠٤) برقم: (٢٣٢٥) (كتاب الحرث والمزارعة، باب إذا قال: اكفني مؤونة النخل وغيره وتشركني في الثمر).

(٢) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١ / ٣٧٦) برقم: (١٦٠) (كتاب الإيمان، ذكر الخبر الدال على أن الإسلام والإيمان اسمان بمعنى واحد يشتمل ذلك المعنى على الأقوال والأفعال معا)، وأحمد في "مسنده" (٨ / ٤٦١٠) برقم: (٢٠٣٣٠) (مسند البصريين رضي الله عنهم، حديث حكيم بن معاوية البهزي عن أبيه معاوية بن حيدة عن النبي ﷺ) وحسنه الألباني في الصحيحة (٧١٢/١).

وفيه أنه يحرُمُ على كلِّ واحدٍ منهما أن يؤذي صاحبه؛ لحرمة الإسلام المانعة عن ظلمه، فالمسلم معتصِمٌ بالإسلام، ممتنِعٌ بحرمته ممن أراده، أو أراد ماله(١).

فالمسلم وليُّ المسلم، محبٌّ له، ناصر له، وخذلانُه له ينافي عقدَ الموالاة الذي بينهما؛ ولهذا تضمَّنَ عقدُ المولاةِ في قوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] = أنَّ خَذْلَ المسلمِ للمسلمِ لا يجوزُ، إذا كان في مقدرته أن يعينه، وأن ينصره ولو بالدعاء(٢).

وقد وصف الله المحبين له المؤمنين به بأنهم: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

وكان من دعاء النبي ﷺ: "أسألُكَ حبَّك، وحبَّ مَنْ يُحبُّك، وحبَّ عملٍ يُبَلِّغُني إلى حبِّكَ"(٣).

فلا تتمُّ محبةُ اللهِ ورسولِه إلا بمحبة أوليائه وموالاتهم، وبغض أعدائه ومعاداتهم، وهذا مقتضي الأخوة الإيمانية.

وقد سئل بعض الصالحين: بما تنال المحبة؟ قال: بموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه، وأصله الموافقة(٤).

أما **الخذلان** فإنه بعكس ذلك كله؛ فهو إهدارٌ لهذه الحقوق جميعًا، وتضييعٌ للأخوَّةِ الإيمانيةِ ومقتضياتها، وتفسُّخٌ لأواصرِ الإسلامِ التي تربط المجتمع بعضَه ببعضٍ، فتكون

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير (٣٧٢/١).

(٢) ينظر: شرح الأربعين النووية، صالح آل الشيخ (ص:٤٨٩).

(٣) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٢٨٢/٥) برقم: (٣٢٣٣) (أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة ص)، وأحمد في "مسنده" (٨١٢/٢) برقم: (٣٥٥٣) (مسند بني هاشم رضي الله عنهم، مسند عبدالله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ). والحديث: صححه ابن حجر. ينظر: فتح الباري (١٣٣/١٠).

(٤) سير السلف الصالحين، إسماعيل الأصبهاني (١١٦٠/٣).

عاملًا من عوامل تماسكه وقوته في وجه من يريد العبث بأمنه، أو يسعى لإثارة القلاقل، ونشر الفساد فيه.

وهذا كله يؤثر على **الدعوة إلى الله وتحقيق أهدافها**؛ من السعي للإصلاح في المجتمع، ونشر الفضيلة، وتحقيق الخير، والوحدة، والأمان.

ومن ثم جاء الوعيد لمن اتَّصف بهذه الصفة البغيضة "الخذلان"؛ فقال النبي الكريم ﷺ: "ما من أَحَدٍ يَخْذُلُ مُسْلِمًا في مَوْطِنٍ يُنْتَقَصُ فيه من عِرْضِهِ، وَيُنْتَهَكُ فيه من حُرْمَتِهِ، إلا خَذَلَهُ اللهُ في مَوْطِنٍ يُحِبُّ فيه نُصْرَتَهُ، وما من امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا في مَوْطِنٍ يُنْتَقَصُ فيه من عِرْضِهِ، وَيُنْتَهَكُ فيه من حُرْمَتِهِ إلا نَصَرَهُ اللهُ في مَوْطِنٍ يُحِبُّ فيه نُصْرَتَهُ"(١).

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (٤/٤٢٢) برقم: (٤٨٨٤) (كتاب الأدب، باب الرجل يذب عن عرض أخيه)، وأحمد في "مسنده" (٧/٣٥٦٤) برقم: (١٦٦٣٠) (أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين، حديث أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري عن النبي ﷺ).

المبحث الثالث: أسباب الخذلان وصوره

المطلب الأول: أسباب الخذلان

١- الاستعانة بغير الله:

مدار إيمان العبد على الاستعانة بربه، والتعلق به سبحانه من جهة إحاطته به وحفظه وإمداده ورزقه ونصره وتوفيقه، ومن جهة حبه وعبادته وتوجهه وإسلامه.

والمؤمن يعلم أن الملك ملك الله، والخلق خلقه، والعبيد عبيده، والنصر من عنده، فهو لا ينفكُّ عن تعلُّقه بمن هذا شأنه، والله تعالى "ذكر انفرادَه تعالى بالتدبيرِ والعطاءِ والمنعِ؛ فقال: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ﴾[١] من رحمتِه عنهم ﴿فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾[٢]؛ فهذا يوجبُ التعلُّقُ بالله تعالى، والافتقارُ إليه من جميعِ الوجوهِ، وألَّا يُدعى إلا هو، ولا يُخاف ويُرجى إلا هو"[٣].

قال ابن القيم:

"فأعظم الناس خِذلانًا من تعلَّق بغير الله، فإنَّ ما فاته من مصالحه وسعادته وفلاحه أعظمُ ممَّا حصل له ممَّن تعلَّق به، وهو معرَّض للزوال والفوات. ومثل المتعلِّق بغير الله كمثل المستظلِّ من الحرِّ والبرد ببيت العنكبوت أوهن البيوت.

وبالجملة فأساس الشِّرك وقاعدته التي بُني عليها: التّعلُّق بغير الله، ولصاحبه الذّمُّ والخِذلان، كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا﴾ [الإسراء: ٢٢] مذمومًا لا حامد لك، مخذولًا لا ناصر لك، إذ قد يكون بعض الناس مقهورًا محمودًا كالذي قُهر بباطلٍ، وقد يكون مذمومًا منصورًا كالذي قَهَر وتسلَّط بباطلٍ، وقد يكون

---

(١) [فاطر: ٢].

(٢) [فاطر: ٢].

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص:٦٨٤).

محمودًا منصورًا كالذي تمكَّن ومَلَك بحقٍّ، والمشرك المتعلِّق بغير الله قسمه أردى الأقسام الأربعة، لا محمودٌ ولا منصور!"[١].

٢- الجبن وسوء الرأي:

فمن أبرز عوامل الخذلان الخوف والجبن عند مواجهة القتال والشدائد، وقد كان النبي ﷺ يتعوذ بالله من الجبن، كما قال أنس بن مالك رضي الله عنه: "كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِذَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ..."[٢].

بل كان ﷺ يبغض الموت مدبرًا في سبيل الله أشدَّ البُغض، ويتعوذ بالله من هذه الميتة؛ ليذكر الأمة أم الموت مدبرًا هو موتٌ على كبيرة من الكبائر، فعن أبي اليَسَر السُلَمي أن رسول الله ﷺ كان يدعو فيقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَرَمِ، وَالتَّرَدِّي، وَالْهَدْمِ، وَالْغَمِّ، وَالْحَرِيقِ، وَالْغَرَقِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَنْ أُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا..."[٣].

ولا زال النبي الكريم ﷺ ينفِّر عن الجبن أشد التنفير، ويبين أن المرء لا يوصف بصفةٍ أقبح من الجبن؛ فيقول ﷺ: "شَرُّ مَا فِي الرَّجُلِ شُحٌّ هَالِعٌ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ"[٤].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٩٤).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٣٦) برقم: (٢٨٩٣) (كتاب الجهاد والسير، باب من غزا بصبي للخدمة).

(٣) أخرجه النسائي في "المجتبى" (١ / ١٠٥٩) برقم: (٥٥٤٧ / ٢) (كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من التردي والهدم)، وأبو داود في "سننه" (١ / ٥٦٨) برقم: (١٥٥٢) (كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة) وصححه الألباني. ينظر: صحيح الجامع (١/ ٢٧٥).

(٤) أخرجه أبو داود في "سننه" (٢ / ٣٢٠) برقم: (٢٥١١) (كتاب الجهاد، باب في الجرأة والجبن)، وأحمد في "مسنده" (٢ / ١٦٨٤) برقم: (٨١٢٥) (مسند أبي هريرة رضي الله عنه)، وصححه الألباني. ينظر: السلسلة الصحيحة (ص:٥٦٠).

وقد أخبر الله تعالى أن هذه صفات المنافقين؛ فهم لا يطيقون ذكر القتال، وإذا أمروا به نظروا إلى الآمر وقد شخصت أبصارهم كما ينظر المغشيّ عليه من الموت هلعًا وجُبنًا.

وكانت أشد سور القرآن عليهم السورة التي يذكر فيها القتال؛ قال تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [**الأحزاب**: ١٩-٢٠].

وقريبٌ من هذه الآيةِ قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ﴾ [**محمد**: ٢٠].

وجعل النبيُّ ﷺ الجبن الذي يجر إلى الضعفِ والخذلانِ وتركِ الغزوِ والقعودِ عن الجهادِ من شُعَبِ النِّفاقِ، فقال ﷺ: "مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ"(١).

يقول ابن القيم: "وصحة الرأي لقاحُ الشجاعةِ، فإذا اجتمعا كان النصرُ والظفرُ، وإن فُقِدَا فالخذلانُ والخيبةُ، وإن وُجِدَ الرأيُ بلا شجاعةٍ فالجبنُ والعجزُ، وإن حصلت الشجاعةُ بلا رأيٍ فالتهورُ والعطبُ"(٢).

فالخوفُ من القتالِ والرهبةِ من الأعداءِ دليلُ حبِّ الحياةِ والتمسُّكِ بها على حسابِ الإيمانِ ومقتضياتِه، وهذا سبيلُ الخذلانِ والهزيمةِ، وبثِّ الخور والوهنِ والضعف.

٣- عدم الرضا بالقضاء والقدر:

إن الإيمان بالقضاء والقدر فرضُ عينٍ على كل مسلمٍ، وركن من أركان الإيمان ففي

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٦ / ٤٩) برقم: (١٩١٠) (كتاب الإمارة، باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو).

(٢) الفوائد (ص:٢٩٠).

حديث جبريل أنه قال: "فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ"(١).

والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر: ٤٩]، ويقول سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ [التغابن: ١١] قال علقمة: "هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ"(٢).

وفي الحديث: "وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ"(٣).

ويقول عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٦].

فمتى آمن العبد ورضي بالقضاء والقدر اطمأنت نفسه، وانزاح عنها كلُّ همٍّ وقلقٍ واضطرابٍ، هذا من جهة.

فالله الذي ينصر عباده، وبيده نصرُ من يشاء من خلقه عزيزٌ لا يقهره شيء، ولا يغلبه غالبٌ، بل يقهر كلَّ شيءٍ ويغلبه، لأنه خلقه، وهو سبحانه حكيمٌ في تدبيره ونصره من نَصَرَ، وخذْلانِه مَنْ خَذَلَ من خلقه، لا يدخل تدبيرُه وهنٌ ولا خَللٌ(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٢٨) برقم: (٨) (كتاب الإيمان،).

(٢) أخرجه البيهقي في "السنن الكبرى" برقم (٧٢٣٣) (كتاب الجنائز، جماع أبواب البكاء على الميت، باب الرغبة في أن يتعزى بما أمر الله تعالى به من الصبر والاسترجاع). وصححه الألباني. ينظر صحيح الجامع (٢٣٠١).

(٣) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٤ / ٢٨٤) برقم: (٢٥١٦) (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب)، وأحمد في "مسنده" (٢ / ٦٤٨) برقم: (٢٧١٣) (مسند بني هاشم رضي الله عنهم، مسند عبدالله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ). وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٤) ينظر: جامع البيان، الطبري (٤١٨/١٣).

ومن جهة أخرى؛ فإنَّ الرضا بالقضاء والقدر يدفع صاحبه إلى عدم التأسي والحزن على ما فاته في حياته، لعلمه بأن الحياة نعمة قد تفضل الله بها عليه، وهبة يستردَّها أنى شاء منه، ولذلك يشعر شعورًا عميقًا بالتسليمِ للهِ والرضا بقضائه، والشكرِ له على ما أعطى وأخذ، يقول تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣]

والرضا بالقضاء يحلِّي صاحبه بالصبر الجميل في جميع المصائب، فلا يجزع ولا يشكو ولا يتذمر ولا يتسخط، بل يدفع ما أصابه بالأسباب المشروعة والمقدورة، فإذا اندفعت فبها، وإن لم تندفع أعاد المحاولة دون ضجر أو سخط؛ فإن تأخير رفع البلاء له حكمة من الله سبحانه(١).

والرضا بالقضاء والقدر يملأ قلب صاحبه شجاعةً وإقدامًا، ويُفرغه من كل خور وجبنٍ؛ لأن المؤمن يعلم أنه لن يموت قبل يومه، ولن يصيبه إلا ما كتب له.

يقول ابن القيم: "والذي يحسم مادَّة الخوف هو التسليم لله، فإنَّ من سلَّم لله واستسلم له، وعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وعلم أنَّه لن يصيبه إلَّا ما كتب الله له= لم يبقَ لخوف المخلوقين في قلبه موضع أيضًا، فإنَّ نفسه التي يخاف عليها قد سلَّمها إلى وليِّها ومولاها، وعلم أنَّه لا يصيبها إلَّا ما كتب لها، وأنَّ ما كتب لها لا بدَّ أن يصيبها؛ فلا معنى للخوف من غير الله بوجهٍ.

وفي التسليم أيضًا فائدةٌ لطيفةٌ، وهي أنَّه إذا سلَّمها للهِ فقد أودَعَها عنده، وأحرَزَها في حِرْزِه، وجعلها تحت كَنَفِهِ، حيث لا تَنَالُه يدُ عادٍ ولا بغيُ باغ"(٢).

(١) ينظر: الإيمان بالقضاء والقدر، د. محمد بن إبراهيم الحمد (ص:١٠٢)، الآثار التربوية للإيمان بالقضاء والقدر، محمد فتحي لولو (ص:٨٧).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٢٥٢).

فمن عوامل الخذلان وأسبابه عدم الإيمان بهذه الأقدار المكتوبة، والظنُّ بأن المخلوقين يملك بعضهم لبعض النفع والضر، والحياة والموت، والنصر والهزيمة، ونسيان أن الأمر كله لله،

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣].

٤- العُجب:

وهو: عبارة عن تصور استحقاق الشخص رتبةً لا يكون مستحقًّا لها(١).

والعُجْبَ والبَطَرَ والفَخْرَ والغرور ألفاظٌ معانيها متقاربةٌ، وهي في حقيقتها أمراضٌ تجعل الإنسان يُعجبُ بعملِهِ، وينسبُهُ لنفسِهِ، ولا يرى فيه عونَ اللهِ له، ولا تأييده إياه؛ فتحصلُ له هزَّة وفرحٌ، وركونٌ له إلى ما اعتقده، وذلك نفخُ الشيطانِ، وقد نهى سبحانه عن ذلك في أكثر من موضعٍ؛ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [**الإسراء**: ٣٧-٣٨].

ونهى النبي الكريم ﷺ أمته عن العُجْبِ، منبّهًا أنه سببٌ لخذلانِ صاحبِه بل وهلاكِه؛ فقال: "إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ"(٢).

قال الخطَّابي: "معنى هذا الكلامِ: "ألَّا يزالَ الرجلُ يعيبُ الناسَ، ويذكرُ مساوئهم، ويقولُ: قد فسدَ الناسُ وهلكوا ونحو ذلك من الكلام، يقول ﷺ: إذا فعلَ الرجلُ ذلك، فهو أهلكُهم وأسوأُهم حالاً؛ مما يلحقه من الإثمِ في عَيبِهم، والإزراءِ بهم، والوقيعةِ فيهم، وربما أدَّاه ذلك إلى العُجْبِ بنفسِه؛ فيرى أنَّ له فضلاً عليهم، وأنه خير منهم؛ فيهلك"(٣).

---

(١) كتاب التعريفات، الجرجاني (ص:١٤٧).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٣٦) برقم: (٢٦٢٣) (كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عَنْ قول هلك الناس).

(٣) معالم السنن (٤/ ١٣٢).

وتوعد سبحانه أصحابَ هذه المعاصي بالخذلان والهزيمة وعدم النصر؛ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال: ٤٧].

قال البغوي: "نَهَى اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أن يَكُونُوا مِثْلَهُمْ، وأَمَرَهُمْ بِإِخْلَاصِ النِّيَّةِ والْحِسْبَةِ في نَصْرِ دِينِهِ وَمُؤَازَرَةِ نَبِيِّهِ ﷺ"(١).

ويقول ابن كثير: "يَقُولُ تَعَالَى بَعْدَ أَمْرِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِخْلَاصِ فِي الْقِتَالِ فِي سَبِيلِهِ وَكَثْرَةِ ذِكْرِهِ، نَاهِيًا لَهُمْ عَنِ التَّشَبُّهِ بِالْمُشْرِكِينَ فِي خُرُوجِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا، أَيْ دَفْعًا لِلْحَقِّ، ﴿وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ وَهُوَ الْمُفَاخَرَةُ وَالتَّكَبُّرُ عَلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ أَبُو جهل: لَا وَاللَّهِ، لَا نَرْجِعُ حَتَّى نَرِدَ مَاءَ بَدْرٍ وَنَنْحَرَ الْجُزُرَ، وَنَشْرَبَ الْخَمْرَ وَتَعْزِفَ عَلَيْنَا القيان.

فانعكس ذلك عليه أجمع، لأنهم وَرَدُوا به الحِمامَ، ورُكِمُوا في أطواءِ بدرٍ مهانين أذلَّاءِ، فِي عَذَابٍ سَرْمَدِيٍّ أَبَدِيٍّ"(٢).

وقال الله سبحانه: ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

قال ابن القيم: "فأخبرَ أنَّ الهزيمةَ بذنوبِهم وإعجابِهم، وأنَّ النَّصْرَ بما أَنْزَلَهُ على رسولِه وأيَّدَهُ به، إذ لم يكنْ منه من سببُ الهزيمةِ ما كان منه"(٣).

وقد بيَّن الله سبحانه أنَّ النصرَ الذي يتحققُ إنما هو فضلٌ منه سبحانه: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

(١) معالم التنزيل (٣/٣٦٦).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/٧٢).
(٣) شفاء العليل (٢/ ٤٧).

فتبيَّن من ذلك أن العُجبَ سجيَّةٌ مذمومةٌ، وطبعٌ سيئٌ مبغوضٌ، وكبيرةٌ من كبائر الذنوب التي تستوجب غضب الله ومقته وخذلانه لصاحبه، وعدم نصره، وهزيمته الروحية والمادية؛ إذ أعْجِبَ بنفسه، ولم ينسب النعمة لصاحبها جلَّ وعلا.

٥- الافتراق والاختلاف في الدين:

أمر الله تعالى في القرآن بالاجتماع والائتلاف والاتفاق ونبذ الاختلاف والفُرْقة، والاجتماع المحمود هو الذي يكون على الحق، والتعاون عليه ونصرته، والاجتماع على الأعمال الصالحة، والذي تتحقق به المصالح والواجبات الشرعية، وتندفع به المضار والمفاسد، قال تبارك وتعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

أي: تَمسَّكُوا بدِينه، وعهْدِه إليكم بالأُلفةِ والاجتماعِ على كلمةِ الحقِّ، ولا تَرتكِبوا ما يُفرِّق جمْعَكم عن هذا الدِّين والعَهْد(١).

وحرَّم الشريعة التنازع والاختلاف، وكل ما يؤدي إليهما، وبيَّن العواقب الوخيمة التي تترتب عليهما؛ قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]

قال ابن كثير رحمه الله: "فأهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراء وملل باطلة، وكلُّ فرقةٍ منهم تزعمُ أنها على شيءٍ، وهذه الأمةُ اختلفوا فيما بينهم على نِحَلٍ كلُّها ضلالةٌ إلا واحدة، وهم أهل السنة والجماعة، المتمسكون بكتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين، وأئمة المسلمين، في قديم الدهر وحديثه"(٢).

(١) ينظر: جامع البيان، الطبري (٦٤٣/٥، ٦٤٧)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٨٩/٢، ٩٠)، تيسير المنان، السعدي (ص: ١٤٢)، تفسير ابن عثيمين – سورة آل عمران (٥٩٤/١- ٥٩٥).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٨٥/٧).

وقال ابن عاشور عند تفسيره لهذه الآية: "وهذه حالةٌ ذميمةٌ من أحوال أهل الشرك، يراد تحذير المسلمين من الوقوع في مثلها؛ فإذا اختلفوا في أمور الدين الاختلاف الذي يقتضيه الاجتهاد، واختلفوا في الآراء والسياسات لاختلاف العوائد؛ فليحذروا أن يجرهم ذلك الاختلاف إلى أن يكونوا شيعًا متعادين متفرقين، يلعن بعضهم بعضًا، ويذيق بعضهم بأس بعض"(١).

وقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [**الأنعام**: ١٥٣]

وقال: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [**الأنفال**: ٤٦] وغير ذلك من الآيات.

وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق، والأمر بالاجتماع والائتلاف، فمن ذلك:

قول النبي ﷺ:"إنَّ اللهَ يرضَى لكم ثلاثًا، ويَكرهُ لكُم ثلاثًا، فيَرضَى لكُم: أنْ تَعبدوهُ، ولا تُشرِكوا به شيئًا، وأنْ تَعتصِموا بحبلِ اللهِ جميعًا ولا تَفرَّقوا، ويَكرهُ لكم: قيلَ وقالَ، وكثرةَ السُّؤالِ، وإضاعةَ المالِ"(٢).

(١) التحرير والتنوير (٢١/ ٩٦).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٥ / ١٣٠) برقم: (١٧١٥) (كتاب الْأقضية، باب النهي عَنْ كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عَنْ منع وهات وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه).

المطلب الثاني: صور الخذلان

للخذلان صورٌ شتى بحسب ما يتعرض له الإنسان من مواقف وأحداث قد تكون اجتماعية، أو اقتصادية، أو سياسية، أو عسكرية...إلخ ولكل حالة ملابساتها، ولأطراف الموقف ظروفهم الزمانية والمكانية وكذا من حيث القدرة والضعف، والمآلات...إلخ

على أننا في هذا البحث سوف نتناول صورًا ثلاثًا محددةً لعلَّ في بحثها إشارةً إلى غيرها؛ إذ الشريعة لا تفرق بين المتماثلات كما هو مقررٌ.

١- خذلان المظلوم:

ويمكن تعريف **المظلوم لغة** ببيان معنى الظلم:

وهو أخذُك حقَّ غيرِك، وهو الاعتداء، وهو أحد نوعي الظلم، والآخر: ترك الحق الواجب، وهو ظلم الإنسان لنفسه.

والظُّلامَةُ: اسمُ مَظْلَمَتِك التي تَطْلبها عند الظّالِم، يُقَال: أَخذهَا مِنْهُ ظُلامَة، والمظلوم: هو الرجل الذليل المستضعف، وهو مفرد، جمعه مظلومون ومظاليم[(١)].

وفي الاصطلاح: هو الشخص المعتدى عليه، وقد أصابه ظلمٌ.

والمظلومُ قد يقع تحت صورٍ من الظلم كثيرة، منها:

الغيبة، والنميمة، والسباب، والشتم، والاحتقار، والتنابز بالألقاب، والاستهزاء، والقذف، وشهادة الزور، وقتل النفس بغير حق، وأخذ أرض الغير أو شيء منها بغير وجه حق، وأكل أموال الناس بالباطل، والتعامل بالربا، والغش في المعاملات، ومماطلة من له حق عليه.

وقد عدَّ العلماء خذلان المظلوم مع القدرة على نصرته من كبائِرِ الذنوب[(٢)]، فإن من أمكنه نصر المظلوم ولم يفعل فقد فعل محرمًا لمخالفته للأمر الشرعي.

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٢٧٧/١٤).

(٢) ينظر: الزواجر، الهيتمي (١٨٩/٢).

فقد جاء الأمر من الله تعالى بأن المؤمنين يجب أن يكون بعضهم لبعض أولياء؛ والولاية تقتضي النصرة للمظلومين، ودفع الظالمين، وكفهم عن ظلمهم، كلُّ ذلك بحسب القدرة والاستطاعة، والنظر في العواقب؛ قال سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال النبي الكريم ﷺ: المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ، يشدُّ بعضُه بعضًا"(١).

وقال ﷺ: "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ"(٢).

فالأمر في الحديث يحمل على الوجوب؛ فتكون نصرة المظلوم واجبة، ورد الاعتداء عليه واجب وحتمي على القادر على ذلك، وفيه دليلٌ على وجوب نصر الظالم على هذا الوجه الذي ذكره النبي ﷺ(٣).

وفيه أمرٌ بالتعاونِ في موضوعِ التناصرِ بالحقِّ، فمن وجد أخاه المسلمَ مظلومًا وكان باستطاعتِه أن ينصرَه ويدفعَ عنه الظلمَ فعليه أنْ ينصرَه على مقدارِ استطاعتِه، ولو بكلمةٍ طيبةٍ، أو بشهادةٍ نافعةٍ، أو بشفاعةٍ حسنةٍ.

ويأتي فوق ذلك نصرُه بصفةٍ عمليةٍ، كاستخدامِ قوةِ السلطانِ الماديةِ أو المعنويةِ، أو استخدامِ المكانةِ الاجتماعيةِ، أو غير ذلك من أنواعِ النُّصرةِ العمليَّةِ.

وقد أضاف الحديثُ هنا معنىً جديدًا للنصرةِ، وهو نصرةُ الأخِ الظالمِ، فبين الرسولُ

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٠٣) برقم: (٤٨١) (كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره)، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٠) برقم: (٢٥٨٥) (كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ٢٢) برقم: (٦٩٥٢) (كتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه إنه أخوه إذا خاف عليه القتل).

(٣) ينظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين (٢/ ٥٩٠).

ﷺ أنَّ نصرةَ الظالمِ تكونُ بحجزِه عن الظلمِ ومنعِه منه، وهذا هو النصرُ الحقيقيُّ له، لا معونتُه على ظُلمِه، لأنَّ حجزَه عن الظلمِ ومنعَه منه نصرٌ له على نفسه، وأهوائها الجانحة عن سبيل الحق، ونصرٌ له على وساوسِ شياطينِ الإنسِ والجنِّ وتسويلاتهم، وفي هذا إنقاذٌ له من عقابِ اللهِ وعذابِه، وإنقاذٌ له من خساسةِ الجريمةِ، وحمايةٌ له من دنسِ الإثْمِ والعدوانِ.

أما نصرُه بمعنى معاونتِه على الظلمِ وشدِّ أزْرِه فيه، فهو في الحقيقةِ ليس بنصرٍ له، بل هو خذلانٌ له، ونصرٌ لأعدائِه عليه، وأعداؤه هنا أهواؤه وشهواتُه الجانحةُ الجامحةُ، وشياطينُه الذين يدفعونه إلى هلاكِه وشقائه، ويزينون له مسالكَ الآثمين، وأنْ يركبَ مراكبَ الظالمينَ، وأنْ يكونَ من المعتدينَ(١).

وقد أوضح الله تعالى أهمية النصرة للمؤمنين بعضهم لبعض، ورفع الظلم عن المظلومين منهم؛ أنها أساس مهم يبنون عليها حياتهم، وحذَّر العاقبة من التخلي عنها، وخذلان المؤمنين بعضه لبعض؛ فإن ذلك مدعاة للفتنة والفساد بين الناس؛ فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ [**الأنفال**: ٧٣].

قال البغوي: "أولياء بعض: في الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة"(٢)، وقال ابن كثير: "أي: يتناصرون ويتعاضدون"(٣).

ذلك أن نصرة المظلوم أساسها الحفاظ على الحرمات مطلقاً من نفس أو مال، فلولا التعاون، لذهبت أموال الناس وأنفسهم.

قال ابن قدامة: "وإذا صالَ على إنْسانٍ صائِلٌ، يريدُ مالَه أو نفسَه ظُلْمًا، أو يريدُ امرأةً لِيَزْنِيَ بها، فلغيرِ المَصُولِ عليه مَعونَتُه في الدَّفْعِ، ولو عَرَضَ اللُّصوصُ لقافِلَةٍ،

(١) ينظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة (٢/٢١٢).
(٢) معالم التنزيل (٤/ ٧٢).
(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/١٧٤).

جازَ لغيرِ أهلِ القافِلَةِ الدَّفْعُ عنهم؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا، أوْ مَظْلُومًا"(١)، وفى حديثِ: "إنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَتَعَاوَنُونَ عَلَى الفُتَّانِ"(٢).

ولأنَّه لولا التَّعاونُ لَذهَبتْ أموالُ النَّاسِ وأنْفُسُهم؛ لأنَّ قُطَّاعَ الطَّرِيقِ إذا انْفَرَدُوا بأخْذِ مالِ إنسانٍ لم يُعِنْه غيرُه فإنهم يأخذون أموال الكل واحدا واحدا وكذلك غيرهم"(٣).

ويقول المصطفى ﷺ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، يَأْلَمُ الْمُؤْمِنُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ كَمَا يَأْلَمُ الْجَسَدُ لِمَا فِي الرَّأْسِ"(٤).

ويقول ﷺ أيضًا: "الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ، وَمُتَسَرِّيهِمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ"(٥).

قال الخطَّابي: "معنى اليد المعاونة والمظاهرة، إذا استنفروا وجب عليهم النفير، وإذا استنجدوا أنجدوا ولم يتخلفوا ولم يتخاذلوا"(٦).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" (٣/ ١٤١) برقم: (٣٠٧٠) (كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب في إقطاع الأرضين).

(٣) المغني (٥٣٤/١٢).

(٤) أخرجه أحمد في "مسنده" (١٠ / ٥٤١٨) برقم: (٢٣٣٤٣) (مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث أبي مالك سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه).

(٥) أخرجه أبو داود في "سننه" (٣ / ٣٤) برقم: (٢٧٥١) (كتاب الجهاد، باب في السرية ترد على أهل العسكر)، والترمذي في "جامعه" (٣ / ٨١) برقم: (١٤١٣) (أبواب الديات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في دية الكفار)، وابن ماجه في "سننه" (٣ / ٦٧١) برقم: (٢٦٥٩) (أبواب الديات، باب لا يقتل مسلم بكافر).

(٦) معالم السنن (٢/ ٣١٤).

وفي الحديث عنه ﷺ قال: "كيف تُقَدَّسُ أُمَّةٌ لا يُؤْخَذُ من شديدِهِمْ لضَعِيفِهِمْ"(١). والمراد أنها لا تطهر أمةٌ من الذنوب، لا يُنتصفُ لضعيفِها من قويّها، ولا لظالمها من مظلومها فيما يلزم من الحق له؛ فإنه يجب نصر الضعيف حتى يأخذ حقه من القوي؛ لأنه حينئذ تسود الفوضى، ويختل النظام، وتصبح تلك الأمة في عداد الأمم التي لا قيمة لها؛ لأنها لم تنصف بين أفرادها، ولم تحسن أن تقيم العدالة بين الجميع.

وقال ﷺ: "مَنْ أُذِلَّ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ فَلَمْ يَنْصُرْهُ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْصُرَهُ أَذَلَّهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"(٢).

وقد توعَّد النبي ﷺ أهل الخذلان بوعيدٍ شديدٍ يصوره ما قاله ابن مسعود عن النبيﷺ: "أُمِر بعبدٍ من عبادِ الله عز وجل أن يُضربَ في قبرِه بمئةِ جَلْدةٍ، فلم يزلْ يسألُ اللهَ ويدعوه حتى صارت جَلدةً واحدةً، فجُلِد جلدةً واحدةً، فامتلأ قبرُه عليه نارًا، فلمّا ارتفَع عنه أفاق، فقال: علامَ جلَدتمُوني؟ قالوا: إنك صلَّيتَ صلاةً بغير طُهور، ومرَرتَ على مظلوم فلم تَنصُرْه"(٣).

ومن خذل أخاه خذله الله في موقف يحتاج إليه، ففي الحديث:

"مَا مِنَ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، إِلَّا خَذَلَهُ اللهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنَ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١١ / ٤٤٣) برقم: (٥٠٥٨) (كتاب القضاء، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من معونة الضعفاء وأخذ مالهم من الأقوياء)، وابن ماجه في "سننه" (٥ / ١٤٣) برقم: (٤٠١٠) (أبواب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" (٦ / ٣٤٥٠) برقم: (١٦٢٣٢) (مسند المكيين رضي الله عنهم، حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه)، والطبراني في "الكبير" (٦ / ٧٣) برقم: (٥٥٥٤) (باب السين، أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه).

(٣) أخرجه الطحاوي في "مشكل الآثار" (٤/ ٢٣١)، وأبو الشيخ ابن حيان في "كتاب التوبيخ". وحسنه الألباني. ينظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٥٣٧).

مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ، إِلَّا نَصَرَهُ الله فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ"(١).

وتتجلى في تاريخ الأمة الإسلامية مقولة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يقول: " يَا أَيهَا النَّاس وَالله مَا فِيكُم أحد أقوى عِنْدِي من الضَّعِيف حَتَّى آخذ الْحق لَهُ، وَلَا أَضْعَف عِنْدِي من الْقوي حَتَّى أَخذ الْحق مِنْهُ"(٢).

٢- الخذلان في الجهاد:

من أبرز صور الخذلان التخلي عن المجاهد في جهاده الحق، وتنكب طريق معاونته ونصرته ودعمه بالبذل والتضحية بالنفس، والمال، ودعمه إعلاميا ومعنويا، ونشر قضيته، وجمع الناس عليها؛ فكل هذه من صور الخذلان في ميادين الجهاد.

والله تعالى يقول في شأن الجهاد والمجاهدين وآلة الجهاد: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [**الأنفال**: ٦٠]، فالإعداد للجهاد يستدعي صورًا من المعاونة كثيرة، وأي خذلان عن هذه الصور من النصرة هو خذلانٌ في الجهاد، ويؤثر على القتال ويكون سببًا في الهزيمة، ونستعرضَ ذلك في النقاط الآتية:

أ- البخل بالمال:

ذلك أنَّ الفقراء إذا لم يجدوا من يحملهم ويجهزهم إلى ميدان المعركة لن يستطيعوا الجهاد، وقد ظهر ذلك جليًّا في غزوة تبوك زمن العسرة؛ حيث طلب النبي ﷺ من الأغنياء مواساة الفقراء؛ فقام عثمان بن عفان رضي الله عنه بدوره المعروف؛ حيث جهَّز الكثير من جيش المسلمين بأن حملهم على الإبل وزوَّدهم بالمال الكثير؛ فقد روى الترمذي أنه

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ٤٢٢) برقم: (٤٨٨٤) (كتاب الأدب، باب الرجل يذب عن عرض أخيه)، وأحمد في "مسنده" (٧ / ٣٥٦٤) برقم: (١٦٦٣٠) (أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين، حديث أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري عن النبي ﷺ).

(٢) المختصر في أخبار البشر، ابن كثير (١٥٩/١).

رضي الله عنه أعطى ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله لتجهيز جيش العسرة لتبوك، وقال الرسول ﷺ في شأنه: "ما على عثمان ما عمل بعد هذه"(١).

ولأهمية البذل والإنفاق أمر القرآن الكريم بالجهاد به وقدَّمه على الأنفس، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [التوبة: ٤١]. ويقول النبي ﷺ: "مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا"(٢).

يعني: مَنْ أَعْطَى غازيًا فرسًا وسلاحًا ونفقةَ ذهابه إلى الغزو، فقد حصلَ له ثوابُ الغزو(٣).

وثبت في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن فتى من أسْلَمَ قال: يا رسول الله، إني أريد الغزو وليس معي ما أتجهز. قال: ائت فلانا، فإنه قد كان تجهز فمرض. فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ويقول: أعطني الذي تجهزت به، قال: يا فلانة، أعطيه الذي تجهزت به، ولا تحبسي عنه شيئًا، فوالله لا تحبسي منه شيئا فيبارك لك فيه"(٤).

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٦ / ٦٩) برقم: (٣٧٠٠) (أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب).
(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٢٧) برقم: (٢٨٤٣) (كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جهز غازيا أو خلفه بخير)، ومسلم في "صحيحه" (٦ / ٤١) برقم: (١٨٩٥) (كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي فِي سبيل الله).
(٣) المفاتيح في شرح المصابيح، مظهر الدين الزيداني (٤/ ٣٤٠).
(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٦ / ٤١) برقم: (١٨٩٣) (كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي فِي سبيل الله).

ففي هذا الحديث ما يدل على أن المجهز للغازي كالغازي، وذلك أن رسول الله ﷺ أمر من تجَّهزَ ليغزو فانقطع بمرض أن يعطيه من يغزو؛ ليكون كأنه غزا، ولذلك فَهِمَ الرجلُ هذا المقصود فقال لزوجته: لا تحبسي من جهازي شيئًا(١).

ب- التخلي عن الدعم الإعلامي والمعنوي:

ذلك أن للإعلام أهدافه العسكرية الجهادية المتمثلة في التوعية والاستنفار، والحثِّ على الدفاع عن الحقوق الشرعية والحرية والكرامة، والتحريض على ذلك، ورفع الروح المعنوية في صفوف المقاتلين، وفي إدارة الحرب النفسية في الأعداء المحاربين، ثم في كشف المخططات، وفضح المؤامرات وللإسهام في التعبئة العامة، والإعداد الشامل من الناحية الفكرية والمعنوية والروح القتالية...إلخ(٢).

وعليه؛ فالدعمُ الإعلاميُّ بابٌ عظيمٌ من أبواب الجهاد ينبغي الحرص عليه، والاهتمام به، فهو مجالٌ فسيحٌ للدفاع عن قضايا المسلمين – خاصة في ميدان الجهاد – والاهتمام بأمورهم في مشارق الأرض ومغاربها، من خلال جمع المعلومات الموثقة وحسن عرضها ونشرها على الملأ في شتى وسائل الإعلام.

وإذا كان هذا الباب مشرعًا في كل وقت فإنه يكون آكد في الملمات التي تحل بالمسلمين من كوارث أو ظلم أو اضطهاد أو جهاد يقوده شعب مسلم ضد أعدائه. فلا يكون الإعلام المناصر عالة على غيره في المعلومات والمصطلحات والتعليقات؛ فينقل ما يضر ولا ينفع، فكأنه امتداد لدعاية أعدائه، يقتات على ما يعطى دون تدقيق أو تمحيص(٣).

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة (٥/ ٣٦٨).
(٢) الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر، عبد الله الوشلي (ص:٤١).
(٣) الإعلام الإسلامي رسالة وهدف، سمير راضي (ص:٩٩).

ولقد أشار القرآن الكريم إلى ضرورة النصرة في هذا الميدان (النصرة الإعلامية)، وبيَّن شدة خطورتها، فقال عز وجلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ﴾ [المائدة: ٥٧].

فالنصرة الإعلامية خاصة في ميدان الجهاد واجبة، وذلك مما ينتج عنها من الوعي بقضايا المسلمين والكشف عن جراحاتهم بصدق وموضوعية، وتبصير الناس بحقيقة الواقع دون مبالغة أو تهوين، وتحرير عقولهم من آثار الإعلام المضلِّل، ودفعهم إلى تحمل مسؤولياتهم في نصرة إخوانهم، وهذا كله من الأولويات الرئيسة التي لا يجوز التقصير فيها(١).

وقد صح عن رسول الله ﷺ: "جاهدوا المشركين بأموالكم، وأنفسكم، وألسنتكم"(٢).

وهذا الدور الإعلامي في الجهاد لا يقتصر على جنس دون جنس، ولا على دول بعينها، ولا على القريب دون البعيد، بل هو فرض على كل مسلمٍ مستطيع لأداء هذه الرسالة؛ في سبيل الحماية لأمته، وحفظ الأرواح والأعراض والأموال.

فإذا ما تخاذل الإعلاميون المنوطة بهم هذه أداء الرسالة وتملَّصوا منها، أو كانوا حربًا بأقلامهم وشاشاتهم على أمتهم؛ فانشغلوا بتأجيج فتن الخلاف، أو بتسويغ الذلِّ والهوانِ، أو بالتفاهاتِ التي تصرف عن معاني العزَّةِ والكرامةِ، ونكصوا على أعقابهم في ساحة الجهاد، وولوا الأدبار، وقالوا كما قالت الآية الكريمة عن مثلا هؤلاء – مخذلين إخوانهم ومثبطينهم عن بذل الأرواح في سبيل الله –: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ [آل عمران: ١٧٣] = فقد خانوا الله ورسوله بخذلانهم لإخوانهم.

---

(١) ينظر: جراحات المسلمين وواجب النصرة، أحمد الصويان (ص:٦٠).

(٢) أخرجه النسائي في "المجتبى" (١ / ٦١٠) برقم: (٣٠٩٦ / ١٢) (كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد)، وأبو داود في "سننه" (٢ / ٣١٨) برقم: (٢٥٠٤) (كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو).

ج- الخذلان في الجهاد بالتخلي عن الدعاء:

فالدعاءُ سلاحُ الأقوياءِ والضعفاءِ، وملاذُ الأنبياءِ، به يستدفعون كلَّ بلاءٍ، قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [**آل عمران**: ١٤٦-١٤٨]

فوصف اللهُ أنبياءَه وأولياءَه في حالِ الجهادِ بأنهم جمعوا بين الصبرِ والثباتِ، والتضرُّعِ والدعاءِ.

وكان النبيُّ ﷺ يومَ بدرٍ وغيره يجمعُ بين التحريضِ والعملِ بنافعِ الأسبابِ، فمن لم يساعد إخوانَه في ميادينِ الجهادِ بمباشرته، وماله، فليساعد بتوجُّهِه إلى ربِّه واستنصارِه، ومن فاتتْه مشاركتُهم في جهادِهم فليقم بما عليه من المعونةِ بالدعاءِ والتضرُّعِ والاستنصارِ، بحسب اقتداره، قال النبيُّ ﷺ: "هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ"(١).

فما أحوجَ المسلمينَ إلى الدعاءِ لإخوانِهم في هذه الأوقاتِ لا سيما وقد تداعت على أمتِنا أممُ الظلمِ والبغيِ والعدوانِ؛ يريدون الاستيلاءَ على الأوطانِ، واغتصابَ البلدانِ، و ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [**الصف**: ٨].

د- عدم التألم لآلامهم:

فالتألم لما يصيب المسلمين نوعٌ من النصرة لهم، ومشاركتهم مشاعرهم، مما أصابهم من المصائب والأذى، كما أنَّ السرور بنصرهم، وجميع ما يحصل لهم من الخير، من المشاركة المطلوبة، وقد قال الله تعالى في وصف أصحاب النبي ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٣٦) برقم: (٢٨٩٦) (كتاب الجهاد والسير، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب).

أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال ﷺ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"(١).

٣- الركون إلى الدنيا:

خلق الله عزَّ وجلَّ الحياة الدنيا لتكون معبرًا أو قنطرة يمر الناس من فوقها إلى الدار الآخرة، ولكنه سبحانه جعلها بما فيها من زخارف وزينات، وشهوات دار امتحان وابتلاء، مَنْ ركن إليها ونسى آخرته فقد ضيَّع نفسَه، إذ ركن إلى حقيرٍ قصيرٍ، ومن انتبه إليها وأخذَ منها بالقدْرِ الذي يُسَلِّمُه من شرّها، ويوصله إلى آخرته سَلِمَ ونجا، بل غنم(٢).

قال سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤]، وقال: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]، وقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦].

فإذا ما تمكَّن حبُّ الدنيا من القلوب حملها على التباري فيها والتسابق عليها من غير شِبَعٍ أبدًا؛ كما قال النبي الكريم ﷺ: "لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ"(٣).

وقد حذَّر القرآن الكريم من فتنة الدنيا والاغترار بزهرتها؛ فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٢) برقم: (١٣) (كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٤٩) برقم: (٤٥) (كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير).

(٢) ينظر: آفات على الطريق، د. السيد نوح (ص: ٤٥٩).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٩٢) برقم: (٦٤٣٦) (كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال)، ومسلم في "صحيحه" (٣ / ١٠٠) برقم: (١٠٤٩) (كتاب الزكاة، باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثا).

وحذَّر النبي ﷺ من غياب معايير التعاطي مع هذه الدنيا، فقال: "...فَوَاللهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ"(١).

فالمخذول من ركن إلى الدنيا وزخرفها، وملأ قلبه منها وظنَّ أنه خالدٌ فيها، وإذا افتتن المخذول بالدنيا كانت من أعظم الأسباب الجالبة للهوى، وتعظيم حقوق النفس وملذَّاتها؛ فالتعلق بها صورة من صور الخذلان والذلة والهزيمة.

وجاء في السنة المطهرة أنَّ تعلُّقَ القلب بالدنيا يقود إلى جملةٍ من الذنوب والمعاصي، منها: أكل الحرام، والرضا بالشهوات، وهجر المواطن التي يُعزُّ فيها الإسلام فتكون النتيجة الخذلان والهوان، يقول الرسول ﷺ: "إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ"(٢).

ومهما كان عدد المسلمين وكثرتهم وعُدَّتهم وعتادهم فلن ينفعهم من ذلك شيءٍ إذا امتلأت قلوبهم بحبِّ الدُّنيا والتعلق بها، يقول ﷺ: "يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنَ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ"(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٩٦) برقم: (٣١٥٨) (كتاب الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب)، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٢١٢) برقم: (٢٩٦١) (كتاب الزهد والرقائق،).

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" (٣ / ٢٩١) برقم: (٣٤٦٢) (كتاب الإجارة، باب في النهي عن العينة)، وأحمد في "مسنده" (٣ / ١٠٨٨) برقم: (٤٩١٨) (مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما،).

(٣) أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ١٨٤) برقم: (٤٢٩٧) (كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام)، وأحمد في "مسنده" (١٠ / ٥٢٦٩) برقم: (٢٢٨٣٢) (مسند الأنصار رضي الله عنهم، ومن حديث ثوبان رضي الله عنه).

المبحث الرابع: آثار الخذلان على الفرد والمجتمع والدعوة الإسلامية، وكيفية مواجهتها

المطلب الأول: آثار الخذلان على الفرد والمجتمع

أولًا: آثار الخذلان الوخيمة على الفرد، ومنها:

١- الأنانية وتبلُّد الضمير:

فللخذلان تبعاتٌ معنويةٌ مدمرةٌ على نفسيةِ الفرْدِ، فهو يغذِّي التنافرَ بين القلوبِ، ويُضعفُ الأنْسَ والمودَّة، ويُلغي الشعور بالمسؤوليةِ واللامبالاة بالآخرين، وفقدان الشعور تجاه الإسلام وأمته، وينكل بصاحبه عن القيام بالواجبات الكبرى، والأهداف السامية، وانعدام الطموح للوصول لمعالي الأمور.

لكن يكتفى الفرْد ساعتئذٍ بإنجازِ مهامِّ حياتِه الروتينيةِ فقط، دون أن يفكر يومًا ما في الارتقاء بنفسه فضلًا عن مجتمعه وأمته، فليس لديه المسؤولية والطموح اللذان يدفعانه لأن يُضحِّي من أجل القيام بواجباته تجاه دينه ومجتمعه وأمته، وتحقيق أهدافها السامية التي يعتز بها، وهذه نتيجة طبيعية في كل فرد هزم داخليا، وخُذِلَ من إخوانه ومجتمعه؛ فتموت عنده القيم العليا من الشهامة والنجدة وإغاثة الملهوف، والمنكوب، بل يجنح إلى ما يضاد هذه القيم من الأنانية والأثرة وحب الذات، والاعتداء على الضعفاء.

وقد أمر الله نبيَّه ﷺ أن يلين لغيره من المسلمين، ويُظهر شفقته وعطفه عليهم؛ ويهتمَّ بشؤونهم، فقال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٢- تلبُّس صاحبه بالهزيمة النفسية:

من آثار الخذلان على الفرد ضعفُ العزَّةِ بالإسلامِ، والوقوعُ في الهزيمةِ النفسيةِ، وهي: شعورُ الفردِ المسلمِ بالضعفِ والهوانِ، والضَّعَةِ أمامَ أعدائه، وشعورُه بالعجْزِ عن مجاراتِهم، أما التفوقُ عليهم فلا يخطرُ له ببالٍ، ويؤدي هذا الشعورُ إلى ذوبانِ شخصيتِه،

وتبعيتِه للمنتصِرِ المتغلِّبِ عليه، وتقليدِه تقليدًا أعمى؛ مما يجعله يفقدُ كلَّ معاني العزةِ بدينهِ، فيتفلت من تبعات دينه(١).

بل يُقذف في قلبه الوهن الذي ذكره النبي في حديث ثوبان: "يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ"(٢).

وإذا أصاب هذا الداء العضال المسلم أصبح معول هدم في أيدي أعداء الإسلام، يضربون به الأمة في مقاتلها، ويصير فتنة لكل مفتون، وينبت في قلبه مرض النفاق وهو لا يشعر.

وكم جر هؤلاء على الأمة من بلايا ورزايا، تتجرع الأمة مرارتها في كل زمن يظهرون فيه! وهم الذين خافهم النبي ﷺ على أمته، وحذَّرها منهم، كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ، قال: "إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ"(٣).

٣- حرمان صاحبه من نصرة الحق:

إن نُصرة المسلم وموالاته فريضة شرعية، فقد جاء الأمر في كتاب الله عزَّ وجلَّ وفي سنة نبيه ﷺ بنصرة المسلم لأخيه المسلم، وجاء كذلك النهي والوعيد الشديد لمن

---

(١) المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية، عبد الله شبانة (ص:٤١).

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ١٨٤) برقم: (٤٢٩٧) (كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام)، وأحمد في "مسنده" (١٠ / ٥٢٦٩) برقم: (٢٢٨٣٢) (مسند الأنصار رضي الله عنهم، ومن حديث ثوبان رضي الله عنه).

(٣) أخرجه أحمد في "مسنده" (١ / ٥٤) برقم: (١٤٥) (مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، مسند أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه).

خالف ذلك وخذل إخوانه؛ فالله سبحانه رغَّب المسلمَ في نصرة أخيه المسلم، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، وضرب الرسولُ ﷺ لنا مثلًا؛ لترسيخ هذا المفهوم قال: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"(١).

قال النووي: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم...هذه الأحاديثُ صريحةٌ في تعظيمِ حقوق المسلمين بعضِهم على بعض، وحثهم على التراحمِ والملاطفة والتعاضدِ في غير إثمٍ ولا مكروهٍ، وفيه جوازُ التشبيه وضرب الأمثال لتقريبِ المعاني"(٢).

فالاهتمام بحال المسلمين ونصرتهم هو اقتداءٌ بهدي النبيّ ﷺ؛ فقد كان يدعو للإنفاق في سبيل الله إذا رأى بلاء ونكبة على مسلم.

وإن نصرة المسلم لأخيه وموالاته له مجلبةٌ لرحمةِ اللهِ؛ فقد قال الرسولُ ﷺ: "الرَّاحمونَ يرحمُهم الرَّحمنُ"(٣)، وقال: "مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ"(٤).

ونصرتُه كذلك هي من أحبِّ الأعمالِ إلى اللهِ؛ فعن ابنِ عمرَ أنَّ رجلًا جاءَ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسولَ اللهِ، أيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إلى اللهِ؟ وأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إلى اللهِ؟ فقال ﷺ: أَحَبُّ النَّاسِ إلى اللهِ تعالى أَنْفَعُهُمْ للنَّاسِ، وأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إلى اللهِ تَعَالَى سُرُورٌ يُدْخِلُهُ

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٠) برقم: (٢٥٨٦) (كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٣٩).

(٣) أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ٤٤٠) برقم: (٤٩٤١) (كتاب الأدب، باب في الرحمة).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٧) برقم: (٥٩٩٧) (كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته)، ومسلم في "صحيحه" (٧ / ٧٧) برقم: (٢٣١٨) (كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك).

على مُسْلِمٍ، أو يَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أو تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أو تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا"(١).

وكما جاء الترغيب في نصرة المسلمِ والوقوفِ معه في سائرِ الأحوال جاءَ كذلك الترهيبُ عن خذلانِ المسلمِ لأخيه المسلمِ في جميع الأحوالِ، والتهربِ من نصرتِه، وعدمِ إعانتِه، فقد نهى النبيُّ عن الخذلانِ، فقال: "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ؛ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ"(٢). وإن خذلانه هو الفتنة والفساد الكبير، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [**الأنفال**: ٧٣].

قال ابن كثير: "إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين، وإلا وقعت الفتنة في الناس، وهو التباس الأمر، واختلاط المؤمن بالكافر، فيقع بين الناس فساد منتشر طويل عريض"(٣).

٤- الاستخفاف بالدين والإزراء بالعلماء:

ذلك بأن الخذلان يصوّر للمخذول أنَّ التمسكَ بالدين سببُ الضعفِ والعجْز، وغلبةِ العدوِّ، فيؤدي هذا الاستخفاف بدينِه والاحتقارِ له، والانسلاخِ منه والثورةِ عليه.

وما كان هذا ليحدثَ لولا أنَّ الدينَ بمفهومِه الشاملِ قد غُيِّبَ، وحوصرَ في نطاقٍ ضيّقٍ من الشعائرِ التعبديةِ، إذ العبادة بمفهومها:

"هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لكلِّ مَا يُحِبهُ الله ويرضاه من الأَقْوال والأعمال البَاطِنَة والظَّاهِرَة؛ فالصَّلَاة والزَّكَاة والصِّيَام والحج وصِدق الحَدِيث وأَدَاء الأمَانَة وبرُّ الوالِدين وصِلَة الأَرْحَام والوفَاء بالعُهود والأَمر بِالمَعْرُوفِ والنَّهْي عَنْ المُنكر والجهَاد للكفَّار والمُنَافِقِينَ والإِحْسَان للجَار واليتيم والمسكين وابْن السَّبِيل والمملوك من الآدَمِيّين والبهائم، والدُّعَاء، والذِّكر،

---

(١) أخرجه الطبراني في "الكبير" (١٢ / ٤٥٣) برقم: (١٣٦٤٦) (باب العين، عمرو بن دينار عن ابن عمر).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١٠/٨)، (٢٥٦٤) (كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره).

(٣) تفسير القرآن العظيم، (٤/ ٩٨).

والقِرَاءَة، وأمثال ذَلِك من العِبَادَة لله"(١).

فحصْر العبادة في الرسوم والشعائر دون العمل والنصرة والجهاد، وتفعيل الأمة الواحدة والجسد الواحد جعل المخذولين من ضعاف الإيمان يذهبون إلى الطعن في الدين، والظنّ بأنه هو الذي جرَّأ عليهم العدو، وأنه الذي يأمر أهله بالتخاذل والهوان والخور والاستكانة؛ رغم أنَّ النصوص المتواترة توضِّح أن الجهاد في سبيل الله ركيزة إيمانية أساسية.

فقد ترجم الإمامُ البخاريُّ في صحيحِه بابًا أسماه "باب الجهاد من الإيمان"، وأورد تحته حديث النبي ﷺ: "انْتَدَبَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَلَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ"(٢).

فالإسلام دين العزَّة والكرامة والبذل والعطاء والتضحية والفداء، لا الاستكانة أو الذل أو الخنوع؛ قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

وقد نعى القرآن الكريم على أولئك الذين يقبلون بالهوان والمذَّلة في أوطانهم وديارهم، وهم قادرون على تغيير أحوالهم؛ إما بمقارعة الظالمين ومقاومتهم، واسترداد حقوقهم المسلوبة، وإما بالهجرة إلى أرض يَعزُّون فيها بدينهم وشريعتهم؛ فقال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ الآية [النساء: ٩٧-٩٩].

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٠/ ١٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٧) برقم: (٣٦) (كتاب الإيمان، باب الجهاد من الإيمان).

ثانيًا: آثار الخذلان الوخيمة على المجتمع، ومنها:

١- تفرُّق المجتمع وتمزُّق أواصره:

إنَّ اجتماعَ المسلمين وتآلفَهم من مقاصدِ الشريعةِ، فقد شرعت عباداتٍ تكونُ سببًا في الترابطِ الأخويّ بين المسلمين مثل: صلاةِ الجماعةِ، وبذلِ الخيرِ للآخرينَ، ومن جملةِ الخيرِ نصرةُ الأخِ المسلمِ لأخيه، أمَّا الخذلان فإنه يغزو قلوبَ المخذولين؛ فيعمل فيها على تقويض القيم الإنسانية والإسلامية العليا؛ من إغاثة الملهوف، ونجدة الضعيف، ونصر المظلوم، والتعاون على الخير؛ ومن ثم يكون التخاذل سببًا لتفككِ روابطِ الأخوَّةِ بين المسلمين، وسببًا في العداوةِ والبغضاءِ بينهم؛ إذ كيف يتخلَّى المسلمُ عن أخيه في وقتٍ هو أحوجُ ما يكونُ إليه.

فالأحداثُ التي تعصف بالمسلمين الآن أظهرتْ أنَّ هناك أناسًا قد زهدوا في إغاثةِ الملهوفِ، وفي نصرةِ المستنصرِ، ونصرةِ المظلومِ، والمصيبةُ الكبرى الاستمرارُ في هذا التخاذلِ بين المسلمين؛ حتى ظن كثيرٌ من الناسِ أن روابطَ الأخوَّةِ قد تلاشتْ من بين المسلمينَ، وأنّ الرابطةَ الدينيَّةَ قد انتفتْ منهم، فخيَّمَتْ على المسلمينَ أمراضٌ تفتك بوحدتهم، وترابطهم، كالعداوةُ والبغضاءُ، والتقاطع والتدابر، والحقد، والحسد، والشماتة، واستقرتْ هذه الظنون في عقولهم وأذهانهم(١).

وقد نهى الشرع الحكيم عن هذا، وحثَّ على الترابط الأخوي، ونَبْذِ الفرقةِ والاختلافِ؛ فقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [**آل عمران**: ١٠٣]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [**الأنعام**: ١٥٩].

وأبان لنا القرآن عن نموذجٍ أكلته الضغائن والإحن والأمراض القلبية داخليًّا؛ فتفرَّقت بهم السبل، وكانوا نهبًا لأعدائهم، قال عزَّ وجلَّ: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [**الحشر**: ١٤] أي: "إنك أيها الرسول إذا رأيتهم مجتمعين خِلْتهم متفقين

(١) ينظر: الخذلان حقيقته وآثاره، عبد الله حلوي (ص:١٣٠).

وهم مختلفون غاية الاختلاف، لما بينهم من إحن وعداوات، فهم لا يتعاضدون ولا يتساندون ولا يرمون عن قوس واحدة.

وفى هذا تشجيع للمؤمنين على قتالهم، وحثٌّ للعزائم الصادقة على حربهم؛ فإن المقاتل متى عرف ضعف خصمه ازداد نشاطا وازدادت حميّته، وكان ذلك من أسباب نصرته عليه"[1].

٢- تسلط العدوّ واستباحته للمجتمع:

فإنَّ من واجبِ علماءِ الأمةِ أنْ يبيّنوا أنَّ الخذلانَ خطرُه عظيمٌ على وحدةِ المجتمعِ في مواجهةِ أعدائِه، وأنَّ الوطنَ والأرضَ والمالَ ومقدراتِ الأمة كلّها من السهلِ أن تَسْقط في أيدي أعدائها المتربصين بها – ما لم تجد تكاتفًا واتحادًا ونصرة من بعضِهم لبعضٍ – وسبيلُ ذلك التمسُّكُ بالعقيدةِ وأخلاقِ الإسلامِ جملةً واحدةً – ومنها أخلاق النجدة والمروءة والعزة – بل يسخروا كلَّ إمكاناتِهم لحمايةِ العقيدةِ، وأنْ يجعلوا من الوطنِ والأرضِ والمالِ والحياةِ وسائلَ لحفظِها وترسيخِها، حتى إذا اقتضى الأمرُ بذْلَ ذلك كلِّه في سبيلِها وجب بذله والتضحيةُ به.

ذلك أنَّ الدِّين إذا فُقِدَ أو غُلِبَ عليه لم يُغْنِ من ورائه الوطنُ والمالُ والأرضُ، بل سَرعان ما يذهبُ كلُّ ذلك أيضًا من ورائه، أما إذا قويَ شأنُه وقامت في المجتمعِ دعائمُه ورسخت في الأفئدةِ عقيدتُه وأخلاقُه التي يعتزُّ بها أهله؛ فإنَّ كلَّ ما كان قد ذهبَ في سبيلِه من مالٍ وأرضٍ ووطنٍ يعودُ، يعودُ أقوى من ذي قبل حيث يحرسُه سياجٌ من الكرامةِ، والقوةِ والنُّصرةِ.

ولقد جرت سنةُ اللهِ في الكونِ على مرِّ التاريخِ أنْ تكونَ القوى المعنويَّةُ هي الحافظةُ للمكاسبِ والقوى الماديةِ، ولذلك فإنَّ من أُسُسِ الحفاظِ على الأوطانِ والأموالِ والأعراضِ

(١) تفسير المراغي (٢٨/ ٥٠).

لئلا تسقطَ في أيدي الأعداءِ ترسيخَ الأخلاقِ الإسلاميةِ التي تعمل على تماسكِ الأمةِ، ووحدِها، ووحدةِ مصيرِها، وهدفِها(١).

٣- ضعف الإيمان وانتشار الرذائل:

ذلك أن مما يزيد في إيمان المؤمن، ممارسة الولاء والبراء، أو بعبارة أدق ما يقتضيه مبدأ الولاء والبراء، من محبةِ المؤمنين ونُصرتهم، والدفاعِ عن قضاياهم، والتألمِ لآلامهم، لا لسببٍ سوى أنهم مؤمنون، والبراءة من الكافرين لا لسببٍ سوى أنهم كافرون، وكراهية فسق الفاسقين، وانحراف المنحرفين، وانفعال النفس بذلك، بغض النظر عن أواصر القربى، ووشائج الأعراق، واتفاق المصالح = إنَّ كلَّ ذلك سببٌ لزيادةِ إيمانِ المؤمنِ وقوَّتِه، كما جاء في حديث أبي أمامة رضي الله عنه، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: "مَنْ أَحَبَّ لِلهِ، وَأَبْغَضَ لِلهِ، وَأَعْطَى لِلهِ، وَمَنَعَ لِلهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ"(٢).

ولا غرْو أن نرى الإسلام يجعل من بعض الفضائل قيمةً إيمانية تعدل الجهاد في سبيل الله؛ فمثلا السعيُ في خدمة الأرامل، وقضاء حوائجهنَّ، ومساعدة المساكين والمعدمين يعدل الجهادَ، والصيامَ والقيام؛ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوِ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ"(٣).

أما عندما يصبح الإيمان في المجتمعِ ألفاظًا جوفاء وشعائر بلا معنى، لا ينصر صاحبُه مظلومًا، ولا يزود عن حمىً، ولا يدفع عن عرضٍ، ولا يأمر بمعروف، ولا ينكر

---

(١) ينظر: عوامل النصر على الأعداء في ضوء الإسلام، د. محمد هلال الصادق (ص: ٧٢٦).

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ٣٥٤) برقم: (٤٦٨١) (كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧ / ٦٢) برقم: (٥٣٥٣) (كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل)، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٢١) برقم: (٢٩٨٢) (كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الْأرملة والمسكين واليتيم).

منكرًا، ولا يسعى في نجدة ملهوف، أو إطعام جائعٍ، أو تأمين خائف، بل يبقى صاحبه خاملًا سلبيًّا، يصير الإيمان جملةً في مهب الرّيح؛ لأنَّ الإيمانَ عند أهل السنة والجماعة "قولٌ وعملٌ"؛ كما نقل ذلك ابن عبد البر؛ فقال: "أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قولٌ وعملٌ، ولا عملَ إلا بنيةٍ، والإيمانُ عندهم يزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالمعصيةِ، والطاعاتُ كلُّها عندهم إيمانٌ"(١).

بل ويستتبع ذلك انتشار الرذائل في المجتمع؛ كانتشار الفوضى، ونشر الخوف والذعر بين الآمنين، وتسلط الظالمين على العباد والبلاد؛ فحالُ من تركَ نصرة إخوانه وخذلهم أحوج ما يكونوا إلى نصرته كحال الشيطان مع الإنسان، كما في الآية الكريمة: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾ [الفرقان: ٢٩].

قال ابن كثير: "أي: يخذله عن الحق، ويصرفه عنه، ويستعمله في الباطل، ويدعوه إليه"(٢)؛ فيُنزع الخيرُ من المجتمع ليحلَّ مكانه الشرُّ والفسادُ، والبغي والعدوان، وانتفاء النصرة المطلوبة، واختلاف القلوب وتنافرها، وانتشار الأراجيف، وتعاسة الأحوال.

ولا يكفي الرجل الصالح افتخاره بأن يتخيل في نفسه عالمًا آخر يطوي فيه معتقداته وجميل أخلاقه، ويشرف من أعاليها على سوء زمانه، وهو متخاذلٌ عن إصلاح مجتمعه، ودفع الظلم عنه، علىحسب الطاقة الإمكان، بل عليه ألَّا يدخر وسعه في مكافحته هذه الأمراض؛ لأنَّ التخاذل في مثل هذه الأحوال لا يزيد المجتمع إلا سوءًا وفسادًا.

(١) التمهيد (٩/ ٢٣٨).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٠٨).

المطلب الثاني: آثار الخذلان على الدعوة الإسلامية

لا شكَّ أن آثار الخذلان تطال المجتمع بأسره، والدعاة إلى الله في طليعة هذا المجتمع، ولا يخفى أنَّ الدعوة تتأثر بكل هذه العوامل قوة وضعفًا، فمن أبرز الآثار السلبية التي يتركها الخذلان على الدعوة:

١- تشويهُ صورةِ الإسلامِ والتنفير منه:

فقد كان لمواقف بعض المجتمعات الإسلامية تجاه قضايا إخوانهم - اجتماعيًّا، واقتصاديًّا، وسياسيًّا، وعسكريًّا - من خذلان وتخذيل، وانهزامية وسلبية، وتركهم نُهبًا للأعداء وما يوقعونه بهم من ظلم، واضطهاد، وتعدٍ على الأنفس، والأموال، والأعراض = كان لهذا كله أثرٌ بالغٌ في تشويه صورة الإسلام، فصار في ذهن الذي يلقى معرفته عن الإسلام من خلال وسائل الإعلام الغربية الحاقدة، وبعيدًا عن الذين يمثلون المصدر الحقيقي المعرفي للإسلام مرتبطًا بالخذلان، والضعف والعجز، والتخلف عن ركب الحضارة.

٢- الاستخفافُ بالقيمِ العليا:

فأولئك الذين ينصرون الباطل بالصمت عنه، وخذلان أهل الحق، لا يريدون لقيم التعاون والمبادرة والعزة والرفعة أن تنتشر، لأنها عن تكشف عن سوأتهم، فيقومون بالاستخفاف بهذه القيم، من خلال نشر رذائل بديلة؛ من الأنانية، والأثرة، وادعاء تحقيق المصلحة بالانكفاء على الذات، وإشباع الحاجات القريبة التي لا تحقق غايات الأمة الكبرى، ومقاصدها العليا.

٣- صدُّ الدُّعاةِ عن دعوتِهم إلى الله:

حين يطال الخذلان مواطن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبذل النصيحة، وتعليم الناس، فإن أولئك المنحرفين يسعون لحمل غيرهم على ما يريدون من الشهوات والشبهات، كما قال القرطبي: "فَمَنْ كَانَ عَلَيْهَا أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَمْثَالُهُ عَلَيْهَا حَتَّى لَا تَلْحَقُهُ

مَعَرَّةٌ"[١]، والله تعالى يقول: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧]، قال الطبري: "ويريد الذين يطلبون لذّات الدنيا وشهوات أنفسهم فيها ="أن تميلوا" عن أمر الله تبارك وتعالى، فتجوروا عنه بإتيانكم ما حرّم عليكم وركوبكم معاصيه"[٢]. ويقول ابن عاشور: "الله وحده هو الذي يريد أن يتوب عليكم، أي يحرضكم على التوبة والإقلاع عن المعاصي، وأما الذين يتبعون الشهوات فيريدون انصرافكم عن الحق، وميلكم عنه إلى المعاصي"[٣].

٤- انتشار المخالفات والمعاصي:

فإن صدَّ الدعاة عن دعوتهم، ووجود أرضًا خصبة عند المدعوين لتقبُّل كلِّ ما يطرح من تشويهٍ للإسلام ونزوعٍ عن القيم، من شأنه أن يشيع الفواحش والظلم والبغي والعدوان في البيئة الدعوة الإسلامية، فتتأصل في جذور المجتمع المخالفات والمعاصي، ويصير المعروف منكرًا والمنكرُ معروفًا.

قال ابن القيم: "وكلُّ من له مُسكةٌ من عقلٍ يعلم أنَّ فسادَ العالمِ وخرابَه إنما نشأ من تقديمِ الرأي على الوحي، والهوى على العقل، وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحكم هلاكُه، ولا في أمَّةٍ إلا وفسد أمرُها أتمَّ فساد"[٤].

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٤٩).
(٢) جامع البيان (٨/ ٢١٢).
(٣) التحرير والتنوير (٥/ ٢١).
(٤) أعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١٤٤).

المطلب الثالث: واجب الدعاة في مواجهة الخذلان

فإن على الدعاة في هذا الواقع الذي غصَّ بالخذلان، وانتشرت فيه أمراض الأنانية، والأثرة، والعجز، والهوان؛ فضلًا عن تفشي فتن الشهوات والشبهات؛ وذلك مصداق حديث النبي ﷺ: "بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ"[(١)] أن يخطو خطوات صائبة بثبات على منهاج النبوة في باب تزكية النفس وتربيتها على الفضائل، وإحياء مواتها، والنهوض بها من كبوتها؛ استجابةً لأمر الله حيث يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦] أي: قال: علِّموهم، أدِّبوهم[(٢)]، ويمكن بيان ذلك من خلال النقاط الآتية:

١- إدراك الأمراض الحقيقية في الأمة والأوطان:

إن علم الواقع بموضوعية وإنصافٍ وتجردٍ ضروريٌّ لضبط الفهم الصحيح، ومن التوجيه الصحيح، ويستلزم ذلك التأني في إطلاق الأحكام، والبعد عن التهوين والتهويل، والبحث عن المعلومات الدقيقة من المصادر المعتمدة، والربط بين المقدمات والنتائج، والتوازن بين العقل والعاطفة، والعمل على تغليب المصالح الكبرى، ودفع المفسدة الكبرى بالمفسدة الصغرى، والبعد عن التحيُّزات الحزبية الضيقة[(٣)].

٢- تعزيز قيمة الدفاع عن الأوطان:

فإن لكلِّ بلدٍ من بلاد المسلمين أعداءً يتربصون به، على المستويات السياسية، والاقتصادية، والفكرية، والإعلامية، فعلى الدعاة أن يُشيعوا فضل الدفاع عن الوطن، وذمِّ التخاذل عنه، وبيان خطر التولي عند الزحف.

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٩٠) برقم: (١٤٥) (كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا وأنه يأرز بين المسجدين).

(٢) جامع البيان، الطبري (٢٣/ ٤٩١).

(٣) ينظر: التحديات التربوية المعاصرة التي تواجه الدعاة، محمد أمين نوفل (ص: ٢٧).

فقد قال النبي ﷺ: "عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ"(١).

وقال ﷺ: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ"(٢).

ولأجل حماية الأوطان قام ذو القرنين ببناء الجدار الحاجز بين المواطنين الضعفاء وبين تعدي يأجوج ومأجوج عليهم؛ قال سبحانه: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ٩٤ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا﴾ [**الكهف**: ٩٤-٩٥].

وفي غزوة أحد أراد المشركون أن يستبيحوا حرمة المدينة، ويعتدوا على المسلمين في وطنهم، فقرر المسلمون الدفاع عن الأرض والعرض، ردًّا لعدوان قريش، وحماية للمدينة، وفي غزوة الخندق حين اجتمعت الأحزاب من كل حدب وصوب لحصار المدينة، والإغارة علها، حفر المسلمون الخندق، وصمدوا دفاعًا عنها، وعن سكانِّها.

٣- تعزيز الهوية الإسلامية:

ذلك أن افتتان كثير من المسلمين بعدوّهم فيما يسمى بالتقدُّم والحضارة يدفع بعضهم إلى الانسلاخِ من دينِه، والتخاذل عن نصرته، ونصرةِ إخوانه من المسلمين، والتنكر لهم، إذ يغدو أسيرًا لمفاهيم العدوِّ، وأفكاره، وما يبثه من سموم تجاه الإسلام وشريعته وأمته، فيدعوه ذلك إلى التخاذل عن الدفاع عن دينه، بل امتداح ما عليه عدوه، وهذا دأب المغلوب أمام الغالب، كما أوضح ذلك ابن خلدون بقوله:

---

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٢٧٦/٣) برقم: (١٦٣٩) (أبواب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ /١٠) برقم: (٢٧٦٦) (كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما)، ومسلم في "صحيحه" (٦٤/١) برقم: (٨٩) (كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها).

"المغلوب مولع أبدًا بالاقتداء بالغالب في شعاره، وزيّه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، والسّبب في ذلك أنَّ النَّفس أبدًا تعتقد الكمالَ في مَنْ غلبها، وانقادت إليه إمَّا لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من أنَّ انقيادها ليس لغلب طبيعيٍّ إنَّما هو لكمال الغالب"(١).

فالواجب على الدعاة من الخطباء والأئمة في المساجد من خلال خطبة الجمعة توعية الناس بموضوع العولمة، ومظاهرها، وأهدافها، ومخاطرها على ثقافتنا وهويتنا وخصوصياتنا الإسلامية الحضارية، وبيان سبل التعامل معها، وكيفية مواجهتها والتصدي لمساوئها، وأيضا إثارة قضية الهوية والخصوصية، وبيان أهميتها ودورها في التصدي للعولمة وأهدافها(٢).

٤- الدعوة إلى الاجتماع والتعاون ونبذ الفرقة:

ذلك أن الإسلام جاء بكلِّ أسباب الاجتماع والوحدة، وعالج كلَّ أسبابِ الفُرقةِ والشقاقِ والنزاعِ، فأي فُرقةٍ واختلافٍ إنما سببُه ضعفُ الإخلاصِ لهذا الدينِ، وضعفُ الاعتصامِ به، وقد جعل اللهُ تعالى للمسلمين قاعدةً فيها حلُّ أيِّ نزاعٍ طارئٍ بينهم، وهي الرجوع إلى كتابه وسنةِ نبيهِ ﷺ؛ فقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

فهذه هي المرجعيةُ هي التي تحققُ للمسلمين وحدتَهم، وتعصمُهم من التشرذمِ واتباعِ الأهواء، وتُفشِلُ كلَّ أسبابِ الفُرقةِ والشقاقِ.

فعلي الدعاة أن يبيَّنوا ما للوحدةِ والأخوَّةِ والتماسكِ بين أفراد المجتمعِ المسلمِ من أثرٍ كبيرٍ في رفعِ أمراضِ الخذلانِ، والسلبيةِ، والأنانيةِ، والتثبيطِ، والإرجافِ، وما في الوحدة من ثواب الله في الدنيا والآخرة؛ فقد قال النبي الكريم ﷺ: "...فَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنَالَ بَحْبَحَةَ

(١) تاريخ ابن خلدون (١/ ١٨٤).

(٢) ينظر: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، د. خليل نوري العاني (ص:٢١١).

الْجَنَّةِ فَعَلَيْهِ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ يَدَ اللهِ فَوْقَ الْجَمَاعَةِ"(١).

وقال أيضًا: "سَيَكُونُ بَعْدِي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ أَوْ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَمْرُهُمْ جَمِيعٌ فَاقْتُلُوهُ كَائِنًا مَنْ كَانَ؛ فَإِنَّ يَدَ اللهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ يَرْتَكِضُ"(٢).

٥- نشر الوعي بالقيم الجماعية:

فعلى الدعاة الاعتناء ببث القيم التي تجمع الأمة، كالتعاون على البرِّ والتقوى، والتكافل المجتمعي، والإيثار، والأخوَّة، والتسامح والعفو، والوحدة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان أهمية صلاة الجماعة ودورها في اتحاد المسلمين، وكذلك بيانهم لقيم البر بالوالدين، وصلة الأرحام، ورعاية حقوق الجار، وردِّ السلام، ومشاركة الناس في أفراحهم وأتراحهم، ورعاية الأيتام والفقراء والمساكين، وعيادة المريض، والوفاء بالوعد والعهد، وإتقان الأعمال، وغير ذلك من القيم التي تعمِّق الوحدة والائتلاف، وتقي المجتمع من الوقوع في الخذلان، والسلبية المقيتة، وعليهم بيان مغبَّة الظلم، والربا، والاستطالة على أعراض الناس وحرماتهم، وركوب الفواحش، والكبر، وسائر الرذائل،

٦- الصبر على مرارة العلاج:

ذلك أنَّ الجراحات في الأمة غائرة، وأمراضها مزمنة؛ وتصحيح الظواهر الفكرية، والخيارات الضيِّقة التي تشكَّلت نتيجة التمزق والاختلاف كلٌّ ذلك يحتاج إلى الصبر، وتحمل الأذى، والعزم القوي، والإرادة الماضية، من خلال النظرة الشمولية، والمنهج الوسطي الذي يضمن سلامة المسار، والتعامل مع القضايا بروح من التعاون؛ للوصول إلى الحل السليم، من خلال الحوار، وتبادل الخبرات، والحلول المناسبة، والتكامل بين جهات الإصلاح دون إفراط ولا تفريط(٣).

---

(١) أخرجه النسائي في "الكبرى" (٨ / ٢٨٥) برقم: (٩١٧٩) (كتاب عشرة النساء، خلوة الرجل بالمرأة).

(٢) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٠ / ٤٣٧) برقم: (٤٥٧٧) (كتاب السير، ذكر إثبات معونة الله جل وعلا الجماعة وإعانة الشيطان من فارقها).

(٣) ينظر: التحديات التربوية المعاصرة التي تواجه الدعاة، محمد أمين نوفل (ص: ٢٧).

الخاتمة

بعد هذا التطواف حول الخذلان وصوره وآثاره على الدعوة والفرد والمجتمع، يمكن استخلاص النتائج الآتية:

١- الخذلان داءٌ يصيب الأمم والمجتمعات كما يصيب الأفراد؛ وهو نوعٌ من الانهزامية والسلبية، ينافي معاني العزة والكرامة، والمروءة، ورفع الظلم مع القدرة على ذلك.

٢- حذَّرت الشريعة الغراء من خذلان المسلم لأخيه، خصوصًا في مواطن القدرة على نصرته، ورفع مظلمته، ودعت المسلمين إلى نبذ كلِّ ما يدعو إليه من: الشحناء والبغضاء، والتدابر والسخرية والاستهزاء، والشماتة...إلخ

٣- الخذلان له أسباب عقدية، واجتماعية، وثقافية تساهم في سريانه بين أفراد المجتمع، منها: الاستعانة بغير الله، والعجب والتكبر، والتربية على الجبن والخور، والأنانية والانكفاء على الذات.

٤- للخذلان صور كثيرة لعلَّ أبرزها خذلان المظلومين، والمعتدى على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم بغير حقٍّ، لا سيما إن المعتدي يعاديهم لأجل دينهم وتمسكهم بشريعتهم؛ فالنصرة لهم حينئذٍ لازمة.

٥- خذلان المسلمين في الجهاد له أبعادٌ قد تضطرها بعض الظروف السياسية والاقتصادية، والإعلامية؛ إلا أنَّ الواجب يحتِّم على من فَقَدَ وسيلةً للنصرة والمشاركة في الجهاد أن يبحث عن سواها مما تتيحه المواقف؛ ولا يقف متحيِّرًا أو متفرِّجًا لمن تكون الغلبة.

٦- الركون إلى الترف وحياة الدعة والأنانية البغيضة كلها تؤدي إلى الشحِّ بالأرواح والأموال والتضحية من أجل نصرة الحقِّ وأهله، وتدعو إلى التخاذل والانزواء، والانشغال بملذات الدنيا وشهواتها، ولو كان في ذلك الذلُّ والهوانُ، والضعفُ وذهابُ الريح.

٧- للخذلان آثاره على الفرد؛ حيث يتلبس من خلاله بأمراض قلبية كالأنانية، والهزيمة النفسية، والاعتياد على الظلم والبغي دون أن تتحرك فيه المروءة والشجاعة، وضعف الثقة بإخوانه، وسوء الظن بمجتمعه.

٨- يكتوي المجتمع من مرض الخذلان بجملةٍ من الموبقات، منها: التشرذم والتفرق، وتسلط العدو عليه، واستباحة أعراضه ومقدراته، وانتشار المعاصي والرذائل الخلقية فيه.

٩- إن الدعوة الإسلامية بأطرافها الثلاث (الدعاة والمدعوين وبيئة الدعوة) تتأثر سلبيًا بهذا الداء العُضال "الخذلان"؛ فيفقد الإسلام بريقه وتشوَّه صورته، وينكفئ الدعاة على أنفسهم حين لا يجدون معينًا أو ظهيرًا في دعوتهم، وتنتشر في المجتمع كل الرذائل الناتجة عن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودعوة الناس إلى الخير.

١٠- على الدعاة إلى الله تعالى واجبٌ ثقيل في إيقاظ المجتمع من غفلته عن نصرة إخوانه، ويبدأ ذلك من بثِّ القيم العليا وتنشئة الأجيال عليها؛ كالتعاون والتكافل، ومساعدة المحتاجين، وعليهم التبصُّر بما يحيق بالأمة من أخطار، فيهمسوا في أذان إخوانهم بالحكمة والموعظة الحسنة دون تهوين أو تهويل، وأن يكونوا قدوةً في الصدع بالحقِّ، وأن ينبذوا التفرُّق ولا يكونوا جزءًا منه.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص، ت: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى، ١٤١٥هـ.
- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن بن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط الخامسة، ١٤٢٠هـ.
- الإعلام الإسلامي رسالة وهدف، سمير راضي، مطبعة رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ.
- الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر، عبد الله الوشلي، دار عمار، اليمن، ط الثانية، ١٤١٤هـ.
- أعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، ت: أجمل الإصلاحي، دار عطاءات العلم، الرياض، ط الثانية، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م.
- آفات على الطريق، د. السيد محمد نوح، دار الوفاء، القاهرة، ط الأولى، ١٤٣٣هـ.
- الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن هُبَيْرَة الذهلي الشيبانيّ، ت: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، السعودية، ط الأولى،١٤١٧هـ.
- الإيمان بالقضاء والقدر، محمد بن إبراهيم الحمد، دار الوطن، الرياض، ط الثانية، ١٤١٦هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، ت: جماعة من المختصين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت.
- التحديات التربوية المعاصرة التي تواجه الدعاة في محافظات غزة وسبل التغلب عليها، محمد أمين نوفل، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣٥هـ.

- التحرير في شرح مسلم، قِوَام السنة الأصبهاني، أبو القاسم إسماعيل بن محمد، ت: إبراهيم أيت باخة، دار أسفار – الكويت، ط، ١٤٤٢ هـ.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هـ.
- التفسير البسيط، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط الأولى، ١٤٣٠ هـ.
- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمرو بن كثير، ت: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، ط الثانية، ١٤٢٠هـ.
- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مكتبة مصطفى البابى الحلبي، مصر، ط الأولى، ١٣٦٥ هـ.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول الله ﷺ، أبو عمر بن عبد البر النمري القرطبي، ت: بشار عواد معروف، وآخرون، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ط الأولى، ١٤٣٩ هـ.
- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى، ٢٠٠١م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، عالم الكتب، القاهرة، ط الأولى، ١٤١٠هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٢٠هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: دار التربية والتراث، مكة المكرمة.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد القرطبي، ت: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط الثانية، ١٣٨٤ هـ.

- جراحات المسلمين وواجب النصرة، أحمد عبد الرحمن الصويان، مركز البحوث والدراسات، مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، ط الأولى، ١٤٣٥هـ.
- الخذلان حقيقته وآثاره، عبد الله بن إبراهيم حلوي، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط الأولى، ١٤٤هـ.
- درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، دار الفكر، عمان، ط الأولى، ١٤٣٠هـ.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ت: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٥ هـ.
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان السِّجِسْتاني، ت: شعَيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، ط الأولى، ١٤٣٠هـ.
- سنن الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى الترمذي السلمي، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- السنن الكبرى، أبو عبدالرحمن، أحمد بن شعيب النسائي، ت: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٤٢١ هـ.
- سير السلف الصالحين، أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، ت: د. كرم بن حلمي، دار الراية، الرياض، ط الأولى، ١٤٢٠هـ.
- السيرة النبوية لابن هشام، عبدالملك بن هشام المعافري، ت: مصطفى السقا، مطبعة الحلبي، بمصر، ط الثانية، ١٣٧٥هـ.
- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، ت: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط الأولى، ١٤١٧هـ.

- شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن، الرياض، ط ١٤٢٦ هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط الرابعة ١٤٠٧ هـ.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- عوامل النصر على الأعداء في ضوء الإسلام، د.محمد هلال الصادق، بحث بجامعة الأزهر، كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، ٢٠٠٧م.
- كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ضبطه وصححه: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٠٣هـ.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، ت: عدد من الباحثين، دار التفسير، جدة، ط الأولى، ١٤٣٦ هـ.
- لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدين محمد ابن منظور، الحواشي: اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، ط الثالثة، ١٤١٤هـ.
- مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، السعودية، ١٤٢٥هـ.
- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، دار العاصمة، الرياض، ط الثالثة، ١٤١٢هـ.
- مدارج السالكين في منازل السائرين، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ت: محمد أجمل الإصلاحي، دار عطاءات العلم، الرياض، ط الثانية، ١٤٤١هـ.

- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد الملا القاري، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.
- المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية، عبد الله بن حمد شبانة، دار طيبة للنشر، الرياض، ط الأولى، ١٤٣٠هـ.
- مسند أحمد بن حنبل، ت: السيد أبو المعاطي النوري، عالم الكتب، بيروت، ط الأولى، ١٤١٩هـ.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، ت: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة، ط الرابعة، ١٤١٧ هـ.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، ت: عبدالسلام محمد هارون، دار ار الفكر، ١٣٩٩هـ.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط الأولى ١٤١٢هـ.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثانية، ١٣٩٢هـ.
- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، الطبعات من (من ١٤٠٤ – ١٤٢٧ هـ).
- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، عدد من المختصين، دار الوسيلة، جدة، ط الرابعة، ١٤٣١هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين، أبو السعادات، المبارك بن محمد بن محمد بن محمد الجزري ابن الأثير ت: محمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، د. خليل نوري العاني، مركز البحوث والدراسات، الوقف السني، العراق، ط الأولى، ١٤٣٠هـ.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث :- ٣٦٤٦
مشكلة البحث وتساؤلاته: ٣٦٤٩
أهداف البحث: ٣٦٤٩
أهمية البحث: ٣٦٤٩
الدراسات السابقة: ٣٦٥٠
خطة البحث: ٣٦٥٠
منهج البحث: ٣٦٥١
المبحث الأول: مفهوم الخذلان والألفاظ ذات الصلة ٣٦٥٢
المطلب الأول: مفهوم الخذلان في اللغة والاصطلاح ٣٦٥٢
المطلب الثاني: الألفاظ ذات الصلة بمفهوم الخذلان [الإرجاف – التثبيط - التخلُّف] ٣٦٥٤
المبحث الثاني: الخذلان في مجال الدعوة في القرآن الكريم والسنة المطهرة... ٣٦٥٦
المطلب الأول: الخذلان في مجال الدعوة في القرآن الكريم ٣٦٥٦
المطلب الثاني: الخذلان في مجال الدعوة في السنة المطهرة ٣٦٦١
المبحث الثالث: أسباب الخذلان وصوره ٣٦٦٧
المطلب الأول: أسباب الخذلان ٣٦٦٧
المطلب الثاني: صور الخذلان ٣٦٧٦
المبحث الرابع: آثار الخذلان على الفرد والمجتمع والدعوة الإسلامية، وكيفية مواجهتها ٣٦٨٨
المطلب الأول: آثار الخذلان على الفرد والمجتمع ٣٦٨٨
المطلب الثاني: آثار الخذلان على الدعوة الإسلامية ٣٦٩٧
المطلب الثالث: واجب الدعاة في مواجهة الخذلان ٣٦٩٩
الخاتمة ٣٧٠٣
المصادر والمراجع ٣٧٠٥
فهرس الموضوعات ٣٧١٠